فضائل بيت المقدس والشام
وعلاقتهما بالملاحم وأحداث آخر الزمان

فضائل بيت المقدس والشام
وعلاقتها بالملاحم وأحداث آخر الزمان

أحمد بن يوسف السيد

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٦ ـ ٢٠٢٤

منار الفكر

الترقيم الدولي:
978-625-94885-1-6



KAYABAŞI MAH. ARMAĞAN SK.
NO:1N BAŞAKŞEHİR / İSTANBUL

FikirManar
+905556600088
www.manarfikir.com
info@manarfikir.com

MATBAA: STEP AJANS MATBAA LTD. ŞTİ, GÖZTEPE MAH. BOSNA CAD, NO11 BAĞCILAR , İSTANBUL
TELEFON :0212 446 88 46
MATBAA SERTIFIKA NO : 45522

فضائل بيت المقدس والشام
وعلاقتهما بالملاحم وأحداث آخر الزمان

أحمد بن يوسف السيد

دار الفكر


بسم الله الرحمن الرحيم

جدول المحتويات

مقدمة	٧
الباب الأول: مكانة بيت المقدس والشام في مرجعية الوحي	١٥
الفصل الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام	١٧
الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام	٢٧
المبحث الأول: فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى في الأحاديث النبوية	٢٨
المبحث الثاني: فضائل الشام في الأحاديث النبوية	٣٨
الباب الثاني: بيت المقدس وبلاد الشام في أحداث آخر الزمان	٥٣
الفصل الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم	٥٥
المبحث الأول: سمات مرحلة المهدي	٥٧
المبحث الثاني: معالم مرحلة الملاحم	٦٦
الفصل الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام	٧٥
خاتمة	٩٩

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وخليل رب العالمين محمد بن عبد الله المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذا كتابٌ مختصرٌ في فضائل الشام وبيت المقدس، أكتبه والشوق يحدوني إلى تلك الديار المقدسة والأرض المباركة، سائلاً الله تعالى أن يجعلني وأحبتي من الفاتحين لها، الناصرين لأهل الحق فيها، والقامعين لأهل الزيغ والضلال الذين طغَوا وتجبروا وأكثروا فيها الفسادَ من اليهود المحتلين، والباطنية الزائغين، الذين أجرموا في حق عباد الله المؤمنين وساموهم سوء العذاب، ونحن نرتقب فيهم وعد الله وخبر نبيه ﷺ.

وقد شهدتِ الشامُ على مرّ تاريخها أحداثاً عظيمة، ومعارك كبيرة، وسجالات حامية، ومن أبرزها في التاريخ الإسلامي: أحداث الفتح الأول، ومن أهم ما فيه: معركة أجنادين، ومعركة اليرموك الفاصلة، ثم فتح دمشق، ثم فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثم بقيتْ أطراف الشام الشمالية ثغراً للمسلمين بينهم وبين بلاد الروم وجيوشهم، وكان هذا الثغر مليئاً بالمرابطين المجاهدين، حتى انفتق ثغر الشام مع أحداث الحروب الصليبية واحتلال بيت المقدس

على أيدي الصليبيين، وذلك في أواخر القرن الخامس الهجري، وظل هذا الاحتلال إحدى وتسعين سنة، إلى أن كتب الله تحرير بيت المقدس عام ٥٨٣ للهجرة، على يدي صلاح الدين الأيوبي رحمه الله بعد معركة حطين العظمى، ثم شهدت الشام ملاحم عكّا بين صلاح الدين والصليبيين، واستمر احتلال الصليبيين لعكّا بعد صلاح الدين لمدة قرن كامل، حتى تحررت على يد المماليك، وبذلك كانت بعض بلاد الشام محتلة من الصليبيّين لما يقارب القرنين من الزمن، شهدت أنواع المعارك والحروب، تخللها غزو التتار وحملتهم على بلاد المسلمين والتي طالت بعض بلاد الشام، ودارت فيها معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ، والتي هُزم فيها التتار هزيمة منكرة.

ثم شهدت الشام محاولة احتلال نابليون لعكّا في بدايات القرن الثالث عشر الهجري (عام ١٧٩٩ ميلادي)، ودارت فيها معارك حامية انتهت بفشل نابليون وانسحابه.

ثم دخلت الشامُ تحتَ وطأة الاستعمار الفرنسي والبريطاني في القرن الهجري الرابع عشر، الموافق للقرن الميلادي العشرين، حتى حصل الاحتلال اليهودي لفلسطين برعاية الاستعمار البريطاني ثم الحماية الأمريكية، كما دخلت سورية بعد ذلك تحت وطأة حكم الطائفة العلوية برئاسة حافظ الأسد الذي سام شعبه سوء العذاب هو وابنه سيء الذكر: بشار الأسد الذي قتل وهجّر الملايين من الشعب السوري، وما زال

حكم هذه الطائفة قائمـاً إلى حين كتابة هذه الأسطر -عجّلَ الله بزوال ملكهم وأبدلهم بعزهم ذلّاً وهوانـاً-، كما تأتي كتابة هذه الأسطر بعد أشهر من بداية العدوان الصهيوني على قطاع غزة، والذي لا يزال مستمراً إلى الآن، والله المستعان.

هذا؛ وإننا نؤمن أن ما بقي من أحداث في الشام فهي أعظم مما مضى، غير أنها ستكون عزّاً للإسلام والمسلمين، وستعود الخلافة إلى هذه الأرض المباركة وترتفع فيها راية الإسلام، كما ستشهد هذه الأرض الملاحمَ الكبرى التي تسبق خروج الدجال، ثم ستشهد كذلك نزول عيسى بن مريم عليه السلام الذي سيَقتل الدجالَ فيها.

ولأجل ذلك كله فإنني أردت المشاركة بهذا الكتاب؛ إيناسـاً لقلوب المؤمنين المستضعفين والمرابطين في بلاد الشام وأكناف بيت المقدس، وبعثـاً لروح التفاؤل والأمل في الأمة، وليكون الكتاب للأجيال القادمة من الطائفة المنصورة كذلك بإذن الله تعالى، سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد والبركة والقبول.

وقد قدّم الإمام الشامي ابن رجب الحنبلي رحمه الله كتابه في فضائل الشام بقوله: (وقد جمعت في هذا الكتاب ما ورد في حماية الشام وصيانتها بما فيها من الإيمان والإسلام؛ تطييبـاً لقلوب المؤمنين وتسكينـاً لها مما حدث بالشام من الحوادث المزعجة في سنة إحدى واثنتين وتسعين بعد

سبع مئين من هجرة إمام المتقين وخاتم النبيين)[١].

ومن موجبات الحديث عن مكانة بيت المقدس ومنزلته في الإسلام: ما نشاهده اليوم من حملات شرسة ضد مفهوم الأمة ووحدتها وضد قضية فلسطين على وجه الخصوص من بعض الأنظمة السياسية العربية وأجهزتها الإعلامية؛ وذلك إمعاناً في استرضاء الصهاينة والقوى الغربية، ونفاقاً وكرهاً لهيمنة الإسلام الشمولية، ومحاربةً للعاملين للإسلام الساعين لرفع كلمته، فأوجب ذلك الحديثَ عن قدسية بيت المقدس في الوحي، وعمق الارتباط بين المسلمين وبين بلاد الشام عامة والقدس خاصة على لسان النبي المصطفى ﷺ، وكذلك الحديث عن الملاحم وأحداثها المرتبطة بأرض الشام، والتي تفتح أملاً لليائسين والمحبَطين من أحداث زماننا، وأن الاحتلال لفلسطين والطغيان في سورية لن يدوما.

ومما يثبت أهمية هذا الموضوع ومركزيته: مقدارُ عناية العلماء به من قديم الزمن، وتواردُهم على التصنيف والتأليف فيه قديماً وحديثاً، ومن أمثلة المؤلفات في هذا المجال:

١. «**فضائل الشام ودمشق**» لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، المتوفى سنة ٤٤٤ هـ.

٢. «**فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام**» لأبي المعالي المشرّف بن المرجّى بن إبراهيم المقدسي، المتوفى سنة ٤٩٢ هـ.

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٧٩)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

٣. «**فضائل الشام**» للحافظ أبي سعد عبد الكريم السمعاني، المتوفى سنة ٥٦٢ هـ.

٤. «**تاريخ مدينة دمشق**» للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر، المتوفى سنة ٥٧١ هـ.

٥. «**فضائل القدس**» للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ.

٦. «**الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى**» للقاسم بن علي بن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ.

٧. «**فضائل بيت المقدس**» للضياء المقدسي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ.

٨. «**ترغيب أهل الإسلام بسكنى الشام**» للعز بن عبد السلام، المتوفى سنة ٦٦٠ هـ.

٩. «**فضائل الشام**» لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي، المتوفى سنة ٧٤٤ هـ.

١٠. «**مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**» لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن سرور المقدسي، المتوفى سنة ٧٦٥ هـ.

١١. «**فضائل الشام**» لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥ هـ.

١٢. «**الروض المغرس في فضائل بيت المقدس**» للشيخ أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن عمر الحسيني الشافعي، المتوفى سنة ٨٥٧ هـ.

١٣. «**موسوعة بيت المقدس وبلاد الشام الحديثية**» إصدار مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.

١٤. «**الوافي في شرح الأحاديث الأربعين الفلسطينية**» لجهاد العايش.

والكتب المؤلفة في هذا الباب من المتقدمين والمعاصرين -غير ما ذكرتُ- كثيرةٌ جداً.

وقد تنوعت الموضوعات التي احتوتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن بيت المقدس وبلاد الشام، وقد قسّم ابن رجب أبواب كتابه إلى عشرة أبواب، تصلح أن تكون تصنيفاً موضوعياً لما ورد في فضائل الشام، فقال رحمه الله مبيِّناً هذه الأبواب العشرة:

(الباب الأول: فيما ورد في الأمر بسكنى الشام.

الباب الثاني: فيما ورد في استقرار العلم والإيمان بالشام.

الباب الثالث: فيما ورد في حفظ الشام من الفتن.

الباب الرابع: فيما ورد في استقرار خِيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام، وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلاد الإسلام.

الباب الخامس: فيما ورد في أن الطائفة المنصورة بالشام.

الباب السادس: فيما ورد في أن الأبدال بالشام.

الباب السابع: فيما ورد في بركة الشام.

الباب الثامن: في حفظِ اللهِ الشامَ بالملائكة الكرام.

الباب التاسع: فيما ورد في بقاء الشام بعد خراب غيرها من الأمصار.

الباب العاشر: فيما ورد في فضل دمشق بخصوصه).

ويمكن أن يُضاف إلى هذه الأبواب العشر موضوعات أخرى، منها: باب ما ورد في الملاحم في بلاد الشام، وغير ذلك من الأبواب.

وقد قسمت الكتاب إلى بابين، يتضمن كل باب منهما فصلين، وذلك على النحو التالي:

الباب الأول: مكانة بيت المقدس والشام في مرجعية الوحي، وفيه فصلان:

الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام.

الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام.

الباب الثاني: بيت المقدس وبلاد الشام في أحداث آخر الزمان، وفيه فصلان:

الأول: معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم.

الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام.

هذا؛ وليس المقصود من هذا الكتاب الاستقصاء التام لكل ما ورد في الشام من فضائل، وإنما جمع طائفة منها مع التعليق عليها، وقد اعتنيتُ بالصنعة الحديثية في هذا الكتاب، وانتقيتُ من الأحاديث أصحها وأحسنها، وإن كنتُ قد أوردتُ شيئًا مما هو ضعيف مع بيان ضعفه، وهذا الباب لا يُتَشَدَّدُ فيه غاية التشديد.

وأحمد الله تعالى على ما يسّر، وأستغفره من ذنوبي وتقصيري وخطئي وعمدي، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

أحمد بن يوسف السيّد

إسطنبول

٣/ ١/ ١٤٤٦هـ



الباب الأول:

مكانة بيت المقدس والشام في مرجعية الوحي

وفيه فصلان:

الأول: الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام.

الثاني: الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام.

الفصل الأول:

الآيات القرآنية في فضل بيت المقدس والشام[1]

* **أولاً:** قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسرَاء: ١].

هذه الآية الكريمة أسّست لمكانة المسجد الأقصى في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام، وذلك قبل الهجرة النبوية، بعد حادثة الإسراء والمعراج، **وفي هذه الآية فوائد:**

- الأولى: في اسم المسجد الأقصى:

وهذه التسمية للمسجد بـ «الأقصى» من مبتكَرات القرآن، ولم تكن

---

(١) أما حدود الشام فذكر ياقوت الحموي رحمه الله في «معجم البلدان» ما يلي:
(**وأما حَدُّها** فمن الفرات إلى العريش المتاخم للدّيار المصريّة، **وأما عرضها** فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد، **وبها من أمهات المدن**: منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرّة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكّا وصُوْر وعسقلان وغير ذلك. **وهي خمسة أجناد**: جند قنسرين، وجند دمشق، وجند الأردنّ، وجند فلسطين، وجند حمص، وقد ذكرت في أجناد.
ويعدُّ في الشام أيضًا الثغور: وهي المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس والبلقاء وغير ذلك، **وطولها** من الفرات إلى العريش نحو شهر، **وعرضها** نحو عشرين يومًا). معجم البلدان (٣/ ٢١٣)، طبعة دار صادر - بيروت.

معروفة قبل ذلك، وفيها إيماء إلى المسجد النبوي الذي هو قَصِيٌّ عن مكة ولكن مسجد بيت المقدس أقصى منه، وذلك كما قال ابن عاشور رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: (الأقصى: أي الأبعد، والمراد بُعْدُهُ عن مكة؛ بقرينة جعله نهاية الإسراء من المسجد الحرام، وهو وصف كاشف اقتضاه هنا زيادة التنبيه على معجزة هذا الإسراء وكونه خارقًا للعادة؛ لكونه قطع مسافة طويلة في بعض ليلة.

وبهذا الوصف الوارد له في القرآن صار مجموع الوصف والموصوف عَلَمًا بالغَلَبَةِ على مسجد بيت المقدس، كما كان المسجد الحرام عَلَمًا بالغَلَبَةِ على مسجد مكة.

وأحسب أن هذا العَلَمَ لهو من مبتكَرات القرآن؛ فلم يكن العرب يصفونه بهذا الوصف، ولكنهم لمّا سمعوا هذه الآية فهموا المراد منه أنه مسجد إيلياء، ولم يكن مسجد لدين إلهي غيرهما يومئذ.

وفي هذا الوصف بصيغة التفضيل باعتبار أصل وضعها معجزةٌ خفيّةٌ من معجزات القرآن؛ إيماءً إلى أنه سيكون بين المسجدين مسجد عظيم هو مسجد طيبة الذي هو قَصِيٌّ عن المسجد الحرام، فيكون مسجد بيت المقدس أقصى منه حينئذ؛ فتكون الآية مشيرة إلى جميع المساجد الثلاثة المفضَّلة في الإسلام على جميع المساجد الإسلامية، والتي بيّنها قول النبي ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الحَرَامِ،**

وَمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَسْجِدِي»)[١]. وهو كلامٌ بديعٌ من ابن عاشور رحمه الله تعالى.

قال ابن تيمية رحمه الله: (فإن المسجد الأقصى اسمٌ لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام، وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد؛ فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زُبَالَةٌ عظيمة -لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يُصلّون إليها- فأمر عمر رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مصلى المسلمين؟ فقال: خلف الصخرة. فقال: يا ابن اليهودية! خالطتك يهودية، بل أبنيه أمامها؛ فإن لنا صدور المساجد. ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه صلى في محراب داود)[٢].

- الثانية: في مكانة المسجد الأقصى:

وذلك لكونه ذكر في القرآن على سبيل التعظيم بذِكر إسراء خاتم

---

(١) التحرير والتنوير = تفسير ابن عاشور (١٥/ ١٤ - ١٥)، طبعة الدار التونسية.
والحديث أخرجه البخاري (١١٨٨)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١ - ١٢)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف.

النبيين إليه، وبذِكر البركة فيما حوله، وبما ورد في الحديث من إمامة النبي ﷺ بالأنبياء فيه.[١]

- الثالثة: في البركة المذكورة في الآية:

قال الطبري رحمه الله: (وقوله: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم)[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: (ومعنى ﴿بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ أن الله أجرى حوله الأنهار وأنبت الثمار. وقيل: لأنه مَقَرُّ الأنبياء ومهبط الملائكة)[٣].

وقال ابن رجب رحمه الله: (واعلم أن البركة في الشام تشمل البركةَ في أمور الدين والدنيا؛ ولهذا سميت «الأرض المقدسة»).

وقال كذلك: (ومن بركتها الدينية أنها أرض الجهاد، فأهلها في جهاد ورباط، ونفقتهم على أنفسهم كالنفقة في سبيل الله تضاعف سبعمائة ضعف، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: «هلم إلى الأرض المقدسة أرض الجهاد»، وكذلك كان السلف يختارون الإقامة بها للجهاد كما فعل ذلك رؤساء مُسلمة الفتح من قريش)[٤].

---

(١) حديث إمامة النبي ﷺ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أخرجه مسلم (١٧٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٨)، طبعة دار هَجَر.

(٣) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٨)، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.

(٤) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٤ + ٢٢٧)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

وقد تكرر في القرآن وصف أرض الشام بأنها أرض مباركة، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]

قال ابن كثير رحمه الله: (يعني أرض الشام)[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (وقد دل القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات:

١. قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، واللهُ تعالى إنما أورث بني إسرائيل أرض الشام.

٢. وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

٣. وقوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١].

٤. وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

٥. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ الآيةَ [سبأ: ١٨].

فهذه خمس آياتٍ نصوص.

(١) تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٨)، طبعة دار طيبة.

و«البركة» تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا، وكلاهما معلوم لا ريب فيه)[١].

(١) وتتمة الكلام أنقله هنا للفائدة، قال رحمه الله: (فهذا من حيث الجملة والغالب، وأما كثير من الناس فقد يكون مقامه في غير الشام أفضل له كما تقدم، وكثير من أهل الشام لو خرجوا عنها إلى مكان يكونون فيه أطوع لله ولرسوله لكان أفضل لهم.

وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي رضي الله عنهما يقول له: «هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ»، فكتب إليه سلمان: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الرَّجُلَ عَمَلُهُ».

وهو كما قال سلمان الفارسي؛ فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف البقاع وقد كانت في غربة الإسلام دارَ كفر وحرب يحرم المقام بها، وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها، وقد كانت الشام في زمن موسى عليه السلام قبل خروجه ببني إسرائيل دارَ الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين، وفيها قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

فإن كون الأرض «دار كفر» أو «دار إسلام أو إيمان» أو «دار سلم» أو «حرب» أو «دار طاعة» «أو معصية» أو «دار المؤمنين» أو «الفاسقين»؛ أوصافٌ عارضةٌ لا لازمة؛ فقد تنتقل من وصف إلى وصف كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم، وكذلك العكس.

وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [البَقَرَة: ١١١ - ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٢٥]، وإسلام الوجه لله تعالى هو إخلاص القصد والعمل له والتوكل عليه، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥]، وقال: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هُود: ١٢٣]، =

* **ثانيًا: قوله سبحانه وتعالى:** ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المَائدَة: ٢١].

فيها فوائد:

- الأولى: في تحديد الأرض المقدسة المقصودة في الآية:

وقد اختلف العلماء في تحديدها، ولكن كما قال ابن جرير رحمه الله: (غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسِّيَرِ والعلماء بالأخبار على ذلك)[(١)].

وقال ابن عاشور رحمه الله: (وهذه الأرض هي أرض فلسطين، وهي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط وبين نهر الأردنّ والبحر الميت؛ فتنتهي إلى حماة شمالاً، وإلى غزة وحبرون جنوبـًا)[(٢)].

وانظر بقية الأقوال في الحاشية[(٣)].

= وقال تعالى: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُود: ٨٨]).

مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤-٤٥-٤٦)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري (٨/ ٢٨٦)، طبعة دار هَجَر.

(٢) التحرير التنوير (٦/ ١٦٢)، طبعة الدار التونسية للنشر.

(٣) قال ابن الجوزي رحمه الله: (**وفي المراد بتلك الأرض أربعة أقوال:**

أحدها: أنها أريحا، رواه عِكْرِمَةُ عن ابن عباس، وبه قال السُّدِّيُّ وابن زيد. قال السُّدِّيُّ: أريحا هي أرض بيت المقدس. وروي عن الضَّحَّاك أنه قال: المراد بهذه الأرض: إيلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة: وقرأت في مناجاة موسى أنه قال: «اللهم إنك اخترت من =

- الثانية: في معنى الأرض المقدسة:

فقال ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره مبيِّنًا الأقوال في ذلك:

(وفي معنى المُقدَّسة قولان:

أحدهما: المطهرة، قاله ابن عباس والزَّجَّاجُ ...

وسمي «بيت المقدس» لأنه يتطهر فيه من الذنوب. وقيل: سماها «مقدسة» لأنها طهرت من الشرك، وجعلت مسكنًا للأنبياء والمؤمنين.

والثاني: أن المقدسة: المباركة، قاله مجاهد)[١].

وقال ابن رجب رحمه الله: (والمراد بـ«المقدسة» المطهرة من الشرك وتوابعه؛ ولذلك كانت أرضَ الأنبياء)[٢].

- الثالثة: في أهمية استحضار كون أرض فلسطين أرضًا مقدسة بوصف

= الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن البيوت بَكَّة وإيلياء، ومن إيلياء بيت المقدس». فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس. وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي أن إيلياء بيت المقدس، وهو مُعَرَّبٌ. قال الفرزدق:

وَبَيْتَانِ بَيْتُ اللهِ نَحْنُ وُلَاتُهُ ... وَبَيْتٌ بِأَعْلَى إِيْلِيَاءَ مُشَرَّفُ

والقول الثاني: أنها الطُّوْرُ وما حولَهُ، رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.

والثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردنّ، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أنها الشام كلها، قاله قتادة). زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٣٢).

(١) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٣٢)، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٢٤)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

الله لها بذلك، وهذا يزيد من مكانتها في قلوب المسلمين، ويزيد من عنايتهم بها، وحمايتهم لها، واهتمامهم بقضاياها، وطرد المحتلين منها.

*** ثالثًا: قوله سبحانه وتعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام:** ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

إن من أهم فضائل الشام أنها أرض الأنبياء ومهاجَرُهم، كما في هذه الآية.

وقال الطبري رحمه الله في تفسيرها: (يقول تعالى ذكره: ونجّينا إبراهيمَ ولوطًا من أعدائهما؛ نُمْرودَ وقومِهِ من أرض العراق ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ وهي أرض الشام، فَارَقَ صلوات الله عليه قومَهُ ودينَهم وهاجر إلى الشام)[(١)].

ثم أسند الطبري إلى قتادة رحمه الله قوله: (﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ كانا بأرض العراق، فأُنْجِيَا إلى أرض الشام، وكان يقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زِيْدَ في الشام، وما نقص من الشام زِيْدَ في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذّاب الدجال)[(٢)].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري (١٦/ ٣١٠)، طبعة دار هَجَر.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري (١٦/ ٣١٢)، طبعة دار هَجَر.

وكان هذا الأمر معروفًا عند الصحابة في زمن النبي ﷺ، كما قال أبو ذر رضي الله عنه للنبي ﷺ عن الشام: (الشَّام أَرْضُ الْهِجْرَةِ، وَأَرْضُ الْمَحْشَرِ، وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ)، فأقرّه النبي ﷺ[1].



(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٨٨)، وقال ابن عبد الهادي رحمه الله: إسناده حسن.

الفصل الثاني:

الأحاديث النبوية في فضل بيت المقدس والشام

سأذكر هنا طائفة من الأحاديث النبوية المتعلقة ببيت المقدس والشام، مبتدئًا ببيت المقدس، ثم الشام، مع التعليق عليها بما يفيد مما ذكره أهل العلم أو فتح الله عليَّ به، مع ذكر شيءٍ من العلل والأحكام على الأحاديث والأسانيد.

المبحث الأول:

فضائل بيت المقدس[1]

والمسجد الأقصى في الأحاديث النبوية

* **الحديث الأول:** قال الإمام البخاري رحمه الله: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى**». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ؛ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ**»)[2].

وهذا الحديث يبيّن مكانة المسجد الأقصى في ميزان الله سبحانه وتعالى الذي جعله من أول المساجد في هذه الأرض، بل هو المسجد الثاني على الإطلاق بعد المسجد الحرام، فهو موضع مبارك؛ اجتمع فيه الأنبياء، ورُفعت فيه الصلوات، وذُكر فيه اسم الله على مرّ العصور والدهور، وهذا يزيد من مسؤولية المسلمين تجاهه حين يُعتَدى عليه، كما هو الحال في زماننا إذ احتلّه اليهود ودنّسوه وضيقوا على المسلمين فيه.

---

(١) قال ابن الجوزي رحمه الله: (وسمي «بيت المقدس» لأنه يتطهر فيه من الذنوب). زاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٣٢)، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.

(٢) البخاري (٣٣٦٦).

* **الحديث الثاني:** قال الإمام البخاري رحمه الله: (حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، -أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ مِنْ الْأَنْصَارِ-، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ. فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتْ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ»)[1].

وفي هذا الحديث بيان ارتباط النبي ﷺ والصحابة بالمسجد الأقصى من بداية الإسلام إذ كانت قبلتهم إليه، وهذا الارتباط جعل لهذا المسجد مكانة في نفوس المؤمنين من أول أيام الإسلام.

وفي هذا رد على من يحاول قطع الصلة بين المسلمين وبين فلسطين والمسجد الأقصى من منافقي هذا الزمن؛ فإن هذه العلاقة علاقة ربانية نشأت من أول أيام الإسلام، وليست علاقةً ناشئةً عن أحزاب أو جماعات أو فئات محدودة من المسلمين.

* **الحديث الثالث:** قال النَّسائي رحمه الله: (أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مَنْصُورٍ،

---

(١) البخاري (٤٠).

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ، قال: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ «**أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»)[١].

قال ابن حجر رحمه الله: (إسناده صحيح).[٢]

قال ابن تيمية رحمه الله: (واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه: كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف، وقد روي من حديث رواه الحاكم في صحيحه: «أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثًا: مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله حُكمًا يوافق حكمَهُ، وسأله أنه لا يَؤُمُّ[٣] أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له». ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء؛ لتصيبه دعوة سليمان عليه السلام؛ لقوله: «لا يريد إلا الصلاة فيه»، فإن هذا يقتضي إخلاص النية

---

(١) النَّسائي (٦٩٣).

(٢) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٤٠٨)، طبعة المكتبة السلفية – مصر.

(٣) أي: لا يَقْصِدُ.

في السفر إليه، ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة)[١].

* **الحديث الرابع**: قال الحاكم رحمه الله في مستدركه: (أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّعِيرِيُّ، ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُعَاذٍ السُّلَمِيُّ، ثَنَا حَفْصُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنِ الْحَجَّاجِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا**»، أَوْ قَالَ: «**خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»)[٢]

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٦)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٢) المستدرك على الصحيحين (٩/ ٤٧٧-٤٧٨)، طبعة دار المنهاج القويم، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٢)، طبعة مكتبة الرشد ناشرون.

قال الشيخ سليمان العلوان: (الحديث الذي فيه أن الصلاة في بيت المقدس بمائتين وخمسين صلاة لا بأس بإسناده، رواه الْفَسَوِيُّ وغيره).

وقال عن الحديث الذي فيه أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة: (رواه ابن ماجه، وهو معلول).

وفي علل الدارقطني رحمه الله: (وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» ... الْحَدِيثَ.

فَقَالَ: يَرْوِيهِ قَتَادَةُ، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ:

فَرَوَاهُ حَجَّاجُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ،=

وفي مذاكرة الصحابة فضل المسجدين عند رسول الله ﷺ دليلٌ على استقرار عظمة المسجد الأقصى في نفوسهم، كما أن في هذا الحديث مِن فضل المسجد الأقصى كون الصلاة فيه بمائتين وخمسين صلاة، وذلك لأن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة في عامة المساجد ولكنها بأربع صلوات في المسجد الأقصى، وهذا أصح ما ورد في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى[1]، كما أن في هذا الحديث بيانَ المكانة الكبيرة للسكنى قريبًا من المسجد الأقصى بحيث يُرى ولو كان الموضع بقدْرِ شَطَنِ الفرسِ؛ أي: حبله، وقد يكون في هذا النص إشارة إلى مقدار الإعاقة الواقعة اليوم دون رؤية المسلمين للمسجد الأقصى والسكنى فيه بسبب الاحتلال اليهودي.

* **الحديث الخامس:** قال الإمام مسلم رحمه الله: (وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ

= عَنْ أَبِي ذَرٍّ [وهذا هو إسناد الحديث المذكور في الأعلى].

وَاخْتُلِفَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، فَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُقْبَةَ السَّدُوسِيُّ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بشير، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ.

وَكَذَلِكَ رَوَى سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، وَهِشَامُ بْنُ خَالِدٍ، وَغَيْرُهُمَا: عَنِ الْوَلِيدِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، لَمْ يَذْكُرْ بَيْنَهُمَا أَحَدًا، وَقَتَادَةُ لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ.

وَقَوْلُ حَجَّاجِ بْنِ حَجَّاجٍ: عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ أَشْبَهُ بالصواب).

العلل الواردة في الأحاديث النبوية = علل الدارقطني (٦/ ٤٤٢)، طبعة دار طيبة.

(١) كما قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٩٥٤)، طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ -وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ**». قَالَ: «**فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ -يَعْنِي نَفْسَهُ-، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ**»)[1].

وفي هذا الحديث من الفضل العظيم والشرف الرفيع والمكانة العلية للمسجد الأقصى: أن النبي ﷺ أَمَّ النبيين بالصلاة فيه.

* **الحديث السادس:** قال أبو عبد الرحمن [هو عبد الله بن أحمد بن حنبل]: (وَجَدْتُ فِي كِتَابِ أَبِي بِخَطِّ يَدِهِ: حَدَّثَنِي مَهْدِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الرَّمْلِيُّ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، عَنِ السَّيْبَانِيِّ -وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ أَبِي عَمْرٍو-، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا**

(١) مسلم (١٧٢).

تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحق ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»)[1].

وإسناده صالح إن كان محفوظاً، فإنّ الْعِجْلِيَّ ابنَ حِبَّانَ وَثَّقَا عَمروَ بن عبد الله الحضرمي، وحكمَ الذهبيُّ بجهالته[2].

قلتُ: وحديث الطائفة المنصورة متواتر عن النبي ﷺ، وهو وإن

---

(١) أحمد (٢٢٣٢٠)، قال الشيخ عبد الله السعد: لعل إسناده صالح.

(٢) وللحديث شاهدٌ: عَنْ مُرَّةِ الْبَهْزِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ -وَهُمْ كَالْإِنَاءِ بَيْنَ الْأَكَلَةِ- حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ كَذَلِكَ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «**بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة» (٢/ ٢٩٨).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الرَّمْلِيُّ، ثَنَا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ أَبُو عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنِ أَبِي وَعْلَةَ- شَيْخٌ مِنْ عَكَّ- قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا كُرَيْبٌ مِنْ مِصْرَ يُرِيدُ مُعَاوِيَةَ، فَزُرْنَاهُ، فَقَالَ: مَا أَدْرِي عَدَدَ مَا حَدَّثَنِي مُرَّةُ الْبَهْزِيُّ فِي خَلَاءٍ وَفِي جَمَاعَةٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ... فذكر الحديث السابق.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٣١٧)، طبعة مكتبة ابن تيمية- القاهرة، وابنُ عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢١٠)، طبعة دار الفكر.

وقال الشيخ عبد الله السعد في مقطع له على اليوتيوب: (لعل إسناده صالح).

وقال في مقطع آخر بعنوان «غزة بأكناف بيت المقدس»: (إسناد صالح لا بأس به).

وقدَّم الشيخُ عبد الله هذا الإسناد على إسناد حديث أبي أمامة، ورأى أنه الصواب.

وضعّف الشيخ المُعَلِّمِيُّ رحمه الله في «الأنوار الكاشفة» تعيينَ الطائفة المنصورة أنها ببيت المقدس.

كانت عامة رواياته ليس فيها هذه الزيادة: «**بِأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» إلا أنه قد ثبت عن النبي ﷺ وبعضِ أصحابِهِ أصلٌ عامٌّ في ذلك؛ كما في صحيح مسلم رحمه الله عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١).

وفسّر الإمام أحمد رحمه الله كلمة «**أَهْلُ الْغَرْبِ**» بأهل الشام(٢).

وكذلك ثبت في البخاري رحمه الله تفسير معاذ بن جبل رضي الله عنه لحديث الطائفة الظاهرة على الحق بأنهم في الشام(٣).

* **الحديث السابع:** قال الإمام البخاري رحمه الله: (بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الأَرْضِ المقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا).

ثم قال: (حَدَّثَنَا مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَام، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ. فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالْآنَ. فَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ**

---

(١) مسلم (١٩٢٥).

(٢) ذكره عنه الإمام ابن تيمية رحمه الله في أكثر من كتاب له، منها منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدَرية (٧/ ٥٨)، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) البخاري (٣٦٤١).

رَمْيَةً بِحَجَرٍ». قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ**»)[١].

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: (وقوله فيه: «**رَمْيَةً بِحَجَرٍ**»؛ أي: قَدْرَ رميةِ حجرٍ، أي: أَدْنِنِي من مكانٍ إلى الأرض المقدسة هذا القدْر، أو أدنني إليها حتى يكون بيني وبينها هذا القدْر، وهذا الثاني أظهر...

ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لمّا منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتَرَكَهُم في التِّيْهِ أربعين سنةً إلى أن أفناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم، ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها كما سيأتي شرح ذلك في أحاديث الأنبياء، ومات هارون ثم موسى عليهما السلام قبل فتح الأرض المقدسة على الصحيح كما سيأتي واضحًا أيضًا، فكأنّ موسى لمّا لم يتهيأ له دخولها؛ لغلبة الجبارين عليها ولا يمكن نبشه بعد ذلك لينقل إليها؛ طلب القرب منها؛ لأن ما قارب الشيء يعطى حكمه)[٢].

* **الحديث الثامن:** قال ابن مَاجَهْ رحمه الله: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيل بْنُ عَبْدِ اللهِ الرَّقِّيُّ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ، عَنْ أَخِيهِ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سَوْدَةَ، عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: «**أَرْضُ الْمَحْشَرِ**

---

(١) البخاري (١٣٣٩).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٢٠٧)، طبعة المكتبة السلفية - مصر.

وَالْـمَنْشَرِ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ». قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ. قَالَ: «**فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ**»)[١].

هذا الحديث أوردتُهُ لشهرته في فضائل المسجد الأقصى، وحَسَّنَهُ بعضُ المتأخرين، لكن قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة زياد بن أبي سودة في «ميزان الاعتدال»: (هذا حديث منكر جدّاً)[٢].

وقال ابن رجب رحمه الله: (خرّجه الإمام أحمد وابن ماجه، وخرّجه أبو داود ولم يذكر: «**فَإِنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ**»، وإسناده قويّ؛ لأن رواته ثقات، لكن قد قيل: إن إسناده منقطع، وفي متنه نكارة)[٣].

❊ ❊ ❊

(١) ابن ماجه (١٤٠٧).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٢/ ٩٠)، دار المعرفة - بيروت.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٨٣)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

المبحث الثاني:
فضائل الشام في الأحاديث النبوية

إنّ مما يجدر التنبيه له أن كل الأحاديث الواردة في فضائل الشام يدخل فيها بيت المقدس من باب أولى؛ لأنه أشرف بقاع الشام، إلا ما جاء خاصّـًا بمدينة من مدن الشام بعينها؛ مثل ما ورد في فضل دمشق.

والأحاديث الواردة في فضائل الشام لها ميزة على ما ورد في بقية البلدان، وذلك أنّ الأحاديث الواردة في فضائل البلدان على قسمين:

١. منها ما هو في فضل الأرض كمكة والمدينة.

٢. ومنها ما هو في فضل أهل الأرض كاليمن.

إلا الشام فهي التي ورد فيها الفضلان: فضل الأرض، وفضل أهل الأرض، ذكر ذلك الشيخ سليمان العلوان حفظه الله وسلّمه، ثم ذكر مثالاً في فضل أرضها، وهو ما ورد في القرآن من ذكر بركتها.

وأما فضل أهلها فحديثُ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**»[١].

وفي الجمع بين الفضلين حديثُ: «**فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيْرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ**»[٢].

---

(١) الترمذي (٢١٩٢).

(٢) أبو داود (٢٤٨٣).

وهذا تحرير مفيد من الشيخ[١].

ويؤخذ من عامة أحاديث فضائل الشام: التفاؤلُ لمستقبل هذه البلاد المباركة، التي هي على عين الله، وتحت أجنحة ملائكته، فإنه مهما غشيها من الأهوال والفساد فإن رحمة الله ستدركها ولا شكَّ.

* **الحديث الأول**: قال أبو داود رحمه الله: (حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، حَدَّثَنِي بَحِيرٌ، عَنْ خَالِدٍ -يَعْنِي ابْنَ مَعْدَانَ-، عَنْ أَبِي قُتَيْلَةَ، عَنْ ابْنِ حَوَالَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ**». قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ. فَقَالَ: «**عَلَيْكَ بِالشَّامِ؛ فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ؛ فَإِنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**»)[٢].

قال ابن أبي حاتم رحمه الله: وسألتُ أَبِي عن حديثٍ رواهُ إبراهيمُ بنُ أَبِي شَيْبَانَ، عن يُونُسَ بن مَيْسَرةَ بن حَلْبَس، عن أبي إدريس، عن عبد الله بن حَوَالَةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**تُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا**»؟ قال: هو صحيحٌ حسنٌ غريبٌ[٣].

---

(١) من مقطع صوتي له مرفوع على موقع يوتيوب.

(٢) أبو داود (٢٤٨٣).

(٣) العلل لابن أبي حاتم (٣/ ٤٥٠)، طبعة مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

قلتُ: وهذا حكمٌ عزيزٌ من الإمام أبي حاتم الرازي[١].

وقد أخطأ بعض المعاصرين خطأً عظيماً حين نَزَّلوا هذا الحديث على المحور الإيراني والكيانات الشيعية التابعة له في العراق وفي لبنان وفي اليمن؛ فإنهم أبعدُ ما يكونون عن هذا الحديث؛ وذلك لِمَا ظهر من أفعالهم الشنيعة في البغي والظلم والعدوان على أهل السنة في سورية والعراق، هذا فضلاً عن كونهم يعادون أصحاب النبي ﷺ الذين نقلوا هذه الأحاديث وخُوطبوا بها ابتداءً. وهذا النفي لدخول المحور الإيراني في الحديث لا يَلزم منه إدخالُ مَن يوالي الأمريكان والصهاينة في الحديث بطبيعة الحال، بل هم أبعدُ ما يكونون عن هذه التزكية النبوية كذلك، فليسوا هم أهلَ هذا الحديث.

ونقل ابن رجب رحمه الله في كتابه «فضائل الشام» مجموعةً من الروايات عن الإمام أحمد رحمه الله في سُكنى الشام، أنقل بعضها لفائدته، قال: (وذكر أبو بكر الخلال في كتاب «الجامع» عن أبي بكر الْمَرُّوْذِيّ قال: سئل أبو عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل-: أين ترى [الرجل] إذا كره المكان الذي هو فيه أن ينتقل؟ قال: إلى المدينة. قيل: فغير المدينة؟ قال: مكة. قيل: فغير هذا؟ قال: الشام، والشام أرض المحشر. ثم قال: دمشق؛ لأنها يجتمع إليها الناس إذا غلبت عليهم الروم.

(١) وقد أخرج ابن حبان هذا الحديث من طريق سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَكْحُولٌ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَةَ... فذكر الحديث.
صحيح ابن حبان = التقاسيم والأنواع (٦/ ٨٥)، طبعة دار ابن حزم - بيروت.

ونقل إسحاق بن إبراهيم بن هانئ وأبو طالب عن أحمد قريباً من ذلك، زاد أبو طالب: قلت له: فأصير إلى دمشق؟ قال: نعم. قلت: فالرملة؟ قال: لا؛ هي قريبة من الساحل.

ونقل حنبل عن أحمد قال: إذا لم يكن للرجل حرمة فالساحل والرباط أعظم للأجر يَرُدُّ عن المسلمين، والشامُ بلد مبارك.

ونقل أبو داود عن أحمد أنه قيل له: هذه الأحاديث التي جاءت: «**إِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**» ونحو هذا؟ قال: ما أكثر ما جاء في هذا.

قيل له: فلعله في الثغور؟ قال: لا. وقال: أرض بيت المقدس أين هي؟ ولا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق؟ هم أهل الشام).

ثم قال ابن رجب رحمه الله مبيِّناً خلاصة معاني هذه الروايات عن أحمد: (وحاصل ما نُقل عن الإمام أحمد أنه يُستحب سكنى الشام والانتقال بالذرية والعيال إلى معاقلها؛ كدمشق، فأما أطرافها وثغورها القريبة من السواحل فلا يستحب سكناها بالذرية؛ لِمَا يخشى عليهم من إغارة الكفار، وإنما يستحب الإقامة بها للرباط بدون نقل النساء والذريّة، وكل ما كان من بلدانها أقرب إلى السواحل وأشد خوفاً فإنه يكره نقل الذرية إليه.

فأما الأحاديث في فضائل الشام فلا تختص عنده بثغورها، بل هي عامة لجميع أرض الشام؛ كبيت المقدس وما والاه ودمشق وغيرها).

ثم قال عقب ذلك: (وهكذا كان عمر بن عبد العزيز يختار لنفسه بلاد قِنِّسْرين على دمشق، وإنما اختار هذا؛ لقربِ العدوِّ وكونِ مقامِهِ فيه أنفعَ للمسلمين؛ لتجهيز الجيوش ووصول الأخبار وغير ذلك من مصالح العامّة. والله أعلم)[١].

قلت: ومما يَحْسُنُ إلحاقُهُ بحديث الباب في الحث على سُكنى الشام: ما أخرجه الترمذي رحمه الله قال: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**هَاهُنَا**». وَنَحَا بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّامِ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)[٢].

* **الحديث الثاني:** قال الترمذي رحمه الله: (حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ).

ثم قال الترمذي: (وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَوَالَةَ، وَابْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٨٤-١٨٥-١٨٦)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

(٢) الترمذي (٢١٩٢).

بْنِ ثَابِتٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ)[١].

وهذا الحديث فيه فوائد:

منها: أنه من الأحاديث التي يُستنبَط منها أن الطائفة المنصورة بالشام؛ فقد ذكر النبي ﷺ هذه الطائفة بعد ذِكْرِ الشام وأهلها.

ومنها: أن صلاح أهل الشام معيارٌ لصلاح الأمة، كما قال الشيخ عبد العزيز الطريفي في شرح الحديث في كلام بديع: (فكأنّ الله جل وعلا قد جعل خيرية أهل الشام مقياسًا لصلاح هذه الأمة، فإذا صلحت هذه البلدة ففي ذلك إشارة إلى استقامة أمر أمة الإسلام، وإذا ضعفت هذه البلدة فهو أمارة على انكماش أمر هذه الأمة واضطرابها وكثرة الفتن، وهذا أمر معلوم؛ فمنذ اضطرب أمر الشام تقسمت دول الإسلام، وتصدع أمر الأمة إلى دويلات ظهرت فيها الأثرة، وظهر فيها كل أحد على بلدته التي هو فيها؛ فظهرت العرقيات والطائفيات والوطنيات في تقسيمها، والأثرة من جهة المال، فتنابز الناس وتسابّوا من جهة ألقابهم وأموالهم وأنسابهم، وكذلك أيضًا ضعفت اللُحمة الدينية واتجه الناس إلى لُحمات أخرى، منها الصلة المادية ومنها الأرضية وما يتعلق بالأنساب والأحساب والألوان وغير ذلك، فتقسّم الناس أوصالاً)[٢].

ومما يمكن الخروج به من هذا الحديث من توصية عملية: العنايةُ

---

(١) الترمذي (٢١٩٢).

(٢) ذكر ذلك في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب، وأصله برنامج في قناة الرسالة.

بالدعوة والإصلاح في أهل الشام خاصة؛ لأن صلاحهم معيار على صلاح الأمة، وفسادهم معيار على فساد الأمة، وذلك في قوله ﷺ: «**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ**»(١).

* **الحديث الثالث:** قال الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٢).

قال ابن رجب رحمه الله: (وقد فسّر الإمام أحمد أهل الغرب في الحديث بأهل الشام؛ فإن التشريق والتغريب أمرٌ نِسْبِيٌّ، والنبيُّ ﷺ إنما قال هذا بالمدينة، وقد سمى النبي ﷺ أهل نجد والعراق أهل المشرق؛ فلذلك كانوا يسمّون أهل الشام أهل المغرب؛ لأن الشام تتغرب عن المدينة، كما أن نجداً تتشرق عنها، وكانوا يسمون البصرة هِنْدَاً؛ لأنها من جهة الهند ومنها يُسْلَكُ إلى الهند)(٣).

* **الحديث الرابع:** قال الإمام أحمد رحمه الله: (حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَاقِدٍ، حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) الترمذي (٢١٩٢).

(٢) مسلم (١٩٢٥).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢٠٤-٢٠٥)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»(١).

هذا الحديث روي من وجوه عن النبي ﷺ من حديث أبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن حَوَالَةَ رضي الله عنهم، وصحّح ابن حجر رحمه الله إسناد حديث أبي الدرداء، وأخرج البزّار حديث أبي الدرداء رضي الله عنه من نفس طريق الإمام أحمد رحمه الله لكن عن «ثور بن يزيد» بدل «زيد بن واقد»، ثم قال: (وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من أحاديث أهل الشام؛ رواه عبد الله بن بُسْرٍ، وأبو الدرداء، ووحشي بن حرب، ولا نعلم له إسناداً أحسنَ من هذا الإسناد عن أبي الدرداء، وقد روي عن أبي الدرداء من غير هذا الوجه، وهذا أحسن إسناداً يروى أيضاً عن أبي الدرداء)(٢).

وصحح إسناده البيهقي رحمه الله في «دلائل النبوة»(٣).

وقال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: (هذا صحيح)(٤).

فالحديث صحيحٌ عند أهل العلم.

---

(١) أحمد (٢١٧٣٣).

(٢) البحر الزّخّار = مسند البزار (١٠/ ٤٨)، مكتبة العلوم والحِكم - المدينة المنوّرة.

(٣) دلائل النبوة (٦/ ٤٤٧)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) الأحكام الوسطى (٤/ ٣٧٤)، طبعة مكتبة الرشد - الرياض.

وجاءت رواية للحديث عند ابن عساكر رحمه الله فيها زيادةٌ، وهي: «فَأَوَّلْتُهُ الْمُلْكَ».[١]

قال ابن رجب رحمه الله تعليقاً على هذه الزيادة: (فإنّ الكتاب إنما يُقام به بمُلْكٍ يؤيِّده ويقاتل به من خرج عنه)[٢].

وقال ابن تيمية رحمه الله حين ذكر الحديث: (وعمود الكتاب والإسلام: ما يعتمد عليه، وهم حَمَلَتُهُ القائمون به)[٣].

قلتُ: وهذا الحديث من أعظم فضائل الشام من الجهة الدينية، وفيه البشرى ببقاء الدين فيها، بل وكونها مركزاً له وموئلاً.

وأظهرُ مرحلةٍ تُنَزَّلُ عليها أحاديثُ فضل الشام من الناحية الدينية هي مرحلة الملاحم والفتن في آخر الزمان، كما ذكر عبد الحق الإشبيلي رحمه الله عن هذا الحديث، قال: (ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال، والله ورسوله أعلم)[٤].

ولذلك بوّب الإمام ابن رجب رحمه الله في كتابه «فضائل الشام» بما يلي: (بابٌ فيما ورد في استقرار خِيار أهل الأرض في آخر الزمان بالشام،

---

(١) تاريخ دمشق (١/ ١٠١)، طبعة دار الفكر.

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٩٠)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٢)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٤) الأحكام الوسطى (٤/ ٣٧٤)، طبعة مكتبة الرشد - الرياض.

وأن الخير فيها أكثر منه في سائر بلدان المسلمين)[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (والإسلام في آخر الزمان يكون أظهرَ بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس فأول الأمة خير من آخرها، وكما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسري بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ فخِيار أهل الأرض في آخر الزمان ألزمُهم مهاجَرُ إبراهيم عليه السلام، وهو بالشام)[٢].

* **الحديث الخامس:** قال الترمذي رحمه الله: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَيُّوبَ يُحَدِّثُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنَ الرِّقَاعِ[٣]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**طُوبَى لِلشَّامِ**». فَقُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ)[٤].

وقال الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله: (رواه الإمام أحمد والترمذي

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٩٥)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣)، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٣) في «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» لعبد الرحمن المباركفوري رحمه الله تعالى (١٠/ ٣١٥)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت: (قوله: «نُؤَلِّفُ» من التأليف؛ أَيْ: نجمعُ. «مِنَ الرِّقَاعِ» بكسر الراء؛ جمعُ رُقْعَةٍ؛ وَهِيَ ما يُكتب فيه).

(٤) الترمذي (٣٩٥٤).

والطبراني، وإسناده على شرط الصحيح)[١].

وقد أخرجه ابن حبان رحمه الله بإسناد صحيح، حيث قال: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ[٢]، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، -وَذَكَرَ ابْنُ سَلْمٍ آخَرَ مَعَهُ-، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا وَنَحْنُ عِنْدَهُ: «**طُوبَى لِلشَّامِ**». قُلْنَا: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: «**إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ لَبَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهِ**»)[٣].

هذا الحديث من أشرف الأحاديث في فضل الشام.

* **الحديث السادس:** قال البخاري رحمه الله: (حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ النَبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**». قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا. قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَفِي نَجْدِنَا. فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[٤].

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي صـ ٢٤٥، طبعة دار الفاروق الحديثة.

(٢) قال عنه الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٠٦)، طبعة مؤسسة الرسالة: (الإمام، المحدث، العابد، الثقة).

(٣) التقاسيم والأنواع = صحيح ابن حبان (٤/ ٣٨١) طبعة دار ابن حزم - بيروت.

(٤) البخاري (٧٠٩٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح في تفسير «نجدنا»: (وأولُ الفتنِ كان مِن قِبَلِ =

وهذا الحديث فيه زيادة الفضل والبركة لبلاد الشام، فهي أرض مباركة بنص القرآن قبل البعثة النبوية، ثم ازدادت بركةً وخيراً ونَمَاءً بدعاء النبي ﷺ لها.

* **الحديث السابع:** قال الإمام أحمد رحمه الله: (حَدَّثَنَا هَاشِمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَهْرٌ بْنُ حَوْشَب، قَالَ: حَدَّثَتْنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ رضي الله عنه كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ خِدْمَتِهِ أَوَى إِلَى الْمَسْجِدِ فَكَانَ هُوَ بَيْتَهُ يَضْطَجِعُ فِيهِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَسْجِدَ لَيْلَةً فَوَجَدَ أَبَا ذَرٍّ نَائِمًا مُنْجَدِلًا فِي الْمَسْجِدِ، فَنَكَتَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ حَتَّى اسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا أَرَاكَ نَائِمًا؟**». قَالَ أَبُو ذَرٍّ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَنَامُ؟ هَلْ لِي مِنْ بَيْتٍ غَيْرُهُ؟ فَجَلَسَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنْهُ؟**». قَالَ: إِذَنْ أَلْحَقُ بِالشَّامِ؛ فَإِنَّ الشَّامَ أَرْضُ الْهِجْرَةِ وَأَرْضُ الْمَحْشَرِ وَأَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَكُونُ

= المشرقِ؛ فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدعُ نشأتْ من تلك الجهة.

وقال الْخَطَّابِيُّ: نَجْدٌ من جهة المشرق، ومَن كان بالمدينة كان نَجْدُهُ باديةَ العراقِ ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة، وأصلُ النَّجْدِ: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الْغَوْرِ فإنه ما انخفض منها، وتِهَامَةُ كلُّها مِن الْغَوْرِ؛ ومكةُ مِن تِهَامَةَ، انتهى.

وعُرِفَ بهذا وَهَاءُ ما قاله الداودي أنّ نجداً من ناحية العراق؛ فإنّه تَوَهَّمَ أنّ نَجْدَاً موضعٌ مخصوصٌ، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفِعُ نَجْدَاً والمنخفِضُ غَوْرَاً).

رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا...»).[١]

قال الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله: (كذا رواه الإمام أحمد، وإسناده حسن، والله أعلم)[٢].

وفي هذا الحديث بيان استقرار فضل الشام عند الصحابة؛ فإن أبا ذر رضي الله عنه قال بحضرة النبي ﷺ عن الشام: إنها أرض الهجرة وأرض المحشر وأرض الأنبياء، فأقرّه النبي ﷺ، وهذا من أعظم فضائل الشام.

* **الحديث الثامن:** أخرج الإمام أحمد رحمه الله: عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ**»[٣].

قال ابن تيمية رحمه الله: (إسناده حسن)[٤].

وقال ابن كثير رحمه الله: (إسناده جيّد)[٥].

---

(١) أحمد (٢٧٥٨٨).

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن عبد الهادي صـ ٢٥٤، طبعة دار الفاروق الحديثة.

(٣) أحمد (١٧١٦٣).

(٤) انظر الاستغاثة في الرد على البكري صـ ٩٨، طبعة دار المنهاج – الرياض.

(٥) انظر البداية والنهاية (٣/ ٤١٣)، طبعة دار هجر.

قال ابن كثير رحمه الله تعليقاً على الحديث: (وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلاً للإسلام وأهله)[١].

* **الحديث التاسع:** قال البخاري رحمه الله: (حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**». فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: سَمِعْتُ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ)[٢].

* **الحديث العاشر:** قال الحاكم رحمه الله: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّفَّارُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الأَصْبَهَانِيُّ، ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَبْقَى فِيهِ مُؤْمِنٌ إِلا لَحِقَ بِالشَّامِ»[٣].

قال ابن رجب رحمه الله عن هذا الأثر: (خرّجه أبو القاسم الدمشقي الحافظ في «تاريخه»، وقال: رواه ابن المبارك وابن مهدي وقبيصة وأبو

---

(١) تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٤)، طبعة دار طيبة.

(٢) البخاري (٧٤٦٠).

(٣) المستدرك على الصحيحين (٩/ ٣٦٩)، طبعة دار المنهاج القويم، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه).

حذيفة عن سفيان، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، وهو المحفوظ)[١].

قلت: والذي يبدو أن هذا الكلام من عبد الله بن عمرو يُقصد به مرحلة أحداث آخر الزمان حين تكون الشام معقل المؤمنين وموئلهم.

وبقيت أحاديث في فضائل الشام متعلقة بالملاحم وأحداث آخر الزمان، أُرجئُ ذكرها إلى الفصل التالي.



(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٨٨)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

الباب الثاني:

بيت المقدس وبلاد الشام
في أحداث آخر الزمان

وفيه فصلان:

الأول: معالم مرحلة المهديّ ومرحلة الملاحم.

الثاني: الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام.

الفصل الأول:

معالم مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم

إنّ من أخصّ ما ورد في الشام من أحاديث وأخبار عن النبي ﷺ: أنها أرض الملاحم الكبرى بين المسلمين والروم في آخر الزمان، وأنها ستكون موئلاً وفُسْطَاطًا للمؤمنين حينذاك، كما أنها ستكون محلاً لنزول نبي الله عيسى عليه السلام، وأنه سيقتل الدجال في الشام في فلسطين منها، والأخبارُ في مجموع ذلك كثيرة وافرة، كما ورد عن النبي ﷺ أن الخلافة ستكون في الأرض المقدّسة.

ونظراً لكون الحديث عن الملاحم ونزول عيسى عليه السلام يرتبط بالحديث عن المهدي؛ لكونه الذي يَؤُمُّ عيسى عليه السلام -في القول المشهور[1]-، ولبعض الآثار الواردة في كونه سينزل بيت المقدس ويقاتل في الشام، ونظراً لوقوع كثير من الخلط بين الأحداث الواردة في الأحاديث فسأبتدئ بذكر المعالم الفارقة بين مرحلة المهدي ومرحلة الملاحم، ثم أنتقل لِذِكر الأحاديث الواردة في الشام في أحداث آخر الزمان، مع التعليق عليها بإذن الله تعالى.

هذا؛ وإن من أهم ما يعين على تمام فقه النصوص الواردة في

---

(١) والله أعلم بصحته؛ فهو مبني على رواية في مسند الحارث بن أبي أسامة، ومبني على فهم ظني لأحاديث: «**وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ**»؛ حيث لم يرد فيها تعيين المهدي.

المهدي والملاحم: أن تُفْقَهَ السِّمَاتُ الكليةُ للمرحلة المتعلقة بالأمرين والمستنبَطة من مجموع النصوص، وعلى ضوء هذه السمات الكلية تُفْقَهُ النصوصُ الجزئية، وبناء على ذلك أقول: إن من يتأمل في مجموع النصوص الواردة في المهدي والملاحم يُدرك الاختلاف الكبير بين سمات المرحلتين، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول:

سمات مرحلة المهدي

*** السمة الأولى: أنها مرحلة ينتشر فيها الظلم والجَوْرُ والعدوان ويعم الأرضَ، والأدلة على ذلك:**

١. حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»، قَالَ: «**ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»[١].

وهذا الحديث من أصحّ الأحاديث الواردة في المهدي وأثبتها، أخرجه الإمام أحمد وابن حبان وأبو يعلى رحمهم الله تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال الإمام أحمد رحمه الله: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به)[٢]. وهذا إسناد صحيح لا غبار عليه.

وأخرجه الحاكم رحمه الله من طريق عوف كذلك، فقال: (حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الدَّارِمِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْإِمَامُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ عَوْفٍ، ثَنَا أَبُو الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به)[٣].

---

(١) أحمد (١١٣١٣).

(٢) أحمد (١١٣١٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين (٩/ ٥٧٦)، طبعة دار المنهاج القويم.

وأخرجه كذلك من حديث هَوْذَةَ بْنِ خَلِيفَةَ عَنْ عَوْفٍ به[١].

فزال بهذه الطرق ما يُخشى من وهم محمد بن جعفر في روايته عن غير شعبة.

٢. قال أبو داود رحمه الله: (حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ، حَدَّثَنَا فِطْرٌ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا**»[٢]. وهذا إسناد لا بأس به.

٣. عن علي رضي الله عنه قال: «لَتُمْلأَنَّ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا حَتَّى لَا يَقُولَ أَحَدٌ: اللهُ اللهُ يَسْتَعْلِنُ بِهِ، ثُمَّ لَتُمْلأَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا».

وهو حديث موقوف لا بأس بإسناده[٣]، ولعل المقصود من كلمة «الله الله» أن من يعلن ولاءه لله وشريعته في مقابل الولاءات الأرضية والقوانين الوضعية يُقتَل، أو من يُعلن تدينه واستقامته على الإسلام، وهذا حصل في بعض البلدان العربية في الزمن الحديث، خاصة في مرحلة ما قبل

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٩/ ٧٢)، طبعة دار المنهاج القويم.

(٢) أبو داود (٤٢٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه موقوفًا. مصنَّف عبد الرزاق الصنعاني (١٠/ ٣٩٠)، طبعة دار التأصيل.

الصحوة الإسلامية، وحتى في هذه المرحلة التي نعيشها اليوم اشتدت الحرب على العاملين للإسلام، ومُلئت بهم السجون واكتظّت، والله المستعان.

* **السمة الثانية: أنها مرحلة اختلاف بين الناس واضطرابات، والأدلة على ذلك:**

١. حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا**»(١).

وهذا الحديث أخرجه أحمد رحمه الله، قال: (حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْمُعَلَّى بْنُ زِيَادٍ الْـمَعْوَلِيُّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ بَشِيرٍ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ به مرفوعًا)(٢).

وهذا الحديث وإن كان في إسناده جَهَالَةٌ من جهة العلاء بن بَشِير إلا

---

(١) أحمد (١١٤٨٥).

(٢) وتتمة الحديث: «وَيَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ غِنًى؛ فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: مَنْ لَهُ فِي الْمَالِ حَاجَةٌ؟»، قَالَ: «فَيَقُومُ رَجُلٌ فَيَقُولُ: أَنَا. فَيُقَالُ لَهُ: ائْتِ السَّادِنَ -يَعْنِي الْخَازِنَ- فَقُلْ لَهُ: قَالَ لَكَ الْمَهْدِيُّ: أَعْطِنِي»، قَالَ: «فَيَأْتِي السَّادِنَ فَيَقُولُ لَهُ، فَيُقَالُ لَهُ: احْثِي. فَيَحْثِي، فَإِذَا أَحْرَزَهُ قَالَ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟»، قَالَ: «فَيَمْكُثُ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ» أَوْ: «فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ».

أنه صالح؛ فالعلاء بن بَشِير ذكره ابن حبان رحمه الله في «الثقات»[١].

وقال عنه الْمُعَلَّى بن زياد الراوي عنه: (وكان -ما عَلِمْتُهُ[٢]- شجاعاً عند اللقاء بَكَّاءً عندَ الذِّكْرِ)[٣].

لكن قال عنه ابن المَديني: (مجهولٌ لم يَرْوِ عنه غير الْمُعَلَّى)[٤].

وقال البزّار رحمه الله: (العلاء لا نعلم روى عنه إلا الْمُعَلَّى)[٥].

٢. حديث أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ**»[٦]، ثم ذكر فيه خروج المهدي.

وهو حديث لا بأس بإسناده والله تعالى أعلم، وسيأتي تخريجه بعد قليل.

*** السمة الثالثة: لا توجد قوة كبيرة للمسلمين حينذاك، وذلك لعدة أدلة:**

١. أن المهدي يلجأ إلى البيت وليس إلى جيش أو نحوه، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذِكر الْقُرَشِيّ الذي يلجأ إلى البيت، وحَمَلَهُ كثيرٌ من

---

(١) كتاب الثقات لابن حبان (٧/ ٢٦٨)، طبعة دائرة المعارف العثمانية.

(٢) أيْ حَسَبَ معرفتي به.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٣/ ٣٤١)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمِزِّيّ (٢٢/ ٤٧٦)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزّار لنور الدين الهيثمي (٤/ ٢٤٠)، طبعة مؤسسة الرسالة.

(٦) أحمد (٢٦٦٨٩)، أبو داود (٤٢٨٨).

العلماء على المهدي[١].

٢. أن القوم الذين يكونون معه حين يلجأ إلى البيت وَصَفَهم النبي ﷺ بأنهم ليست لهم منعة، كما في صحيح مسلم من طريق: (زَيْدِ بْنِ أَبِي أُنَيْسَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَامِرِيِّ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ** -يَعْنِي الْكَعْبَةَ- **قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**».

قَالَ يُوسُفُ: وَأَهْلُ الشَّأْمِ يَوْمَئِذٍ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ: أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِهَذَا الْجَيْشِ).[٢]

٣. أنه لا يُقاتِل الجيشَ الذي يغزوه، وإنما يكفيه الله إياهم بالخسف، مما قد يُستدل به على أنه لا طاقة للمهدي بمواجهة هذا الجيش، فيهلكهم الله كما أهلك فرعون وجنوده حين لم يكن مع موسى عليه السلام من يمكنه مواجهة فرعون بهم.

٤. أنه يأتيه «أبدال الشام وعصائب أهل العراق»، وهي ألفاظ تدل على القلة، والدليل على ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده قال رحمه الله:

---

(١) على سبيل المثال: قال ابن حبان في صحيحه: (ذِكْرُ الخبرِ المصرِّح بأنّ القومَ الذين يُخْسَفُ بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمْرِ عنه).
التقاسيم والأنواع = صحيح ابن حبان (٦/ ٩٧) طبعة دار ابن حزم - بيروت.

(٢) مسلم (٢٨٨٣).

(حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ وَحَرَمِيٌّ الْمَعْنَى، قَالَا: حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ، عَنْ صَاحِبٍ لَهُ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ هَارِبٌ إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَتْهُ أَبْدَالُ الشَّامِ وَعَصَائِبُ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ، ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَكِّيُّ بَعْثًا فَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ، وَالْخَيْبَةُ لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ، فَيَقْسِمُ الْمَالَ وَيُعْمِلُ فِي النَّاسِ سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ**[1] **إِلَى الْأَرْضِ، يَمْكُثُ تِسْعَ سِنِينَ**». قَالَ حَرَمِيٌّ: أَوْ «**سَبْعَ**».[2]

وهذا الحديث وإن كان في إسناده من هو مُبْهَمٌ -وهو صاحب أبي الخليل- إلا أن أبا حاتمٍ الرازي نصَّ في العلل على أن صاحبه هذا هو عبد الله بن الحارث[3]، وهو ثقة. والحديث بذلك لا بأس به إن شاء الله.

---

(١) قال ابن الأثير: (الْجِرَانُ: باطنُ العُنُقِ، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها: «حَتَّى ضَرَبَ الْحَقُّ بِجِرَانِهِ»؛ أيْ: قَرَّ قرارُهُ واستقامَ، كما أنّ البعير إذا برك واستراح مَدَّ عنقَهُ على الأرض).

النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٦٢)، المكتبة العلمية - بيروت.

(٢) أحمد (٢٦٦٨٩)، أبو داود (٤٢٨٨).

(٣) قال ابن أبي حاتم في العلل: (وسألتُ أَبِي عن حديثٍ رواه عبد الصمد بن عبد الوارث، عن هشام، عن قتادة، عن صالحٍ أبي الخَليل، عن صاحبٍ له، عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ ذَاهِبٌ =

*** السمة الرابعة: أن الجزيرة العربية ستكون خاليةً حينها من القوى المركزية الكبرى، بدليل:**

١. الجيش الذي يغزو المهدي يأتي من الشام وليس من الجزيرة العربية[(١)].

٢. الذين يلتحقون بالمهدي ويبايعونه يأتونه من الشام والعراق[(٢)].

٣. حديث الرايات السُّود، وقد أخرجه ابن ماجه، فقال رحمه الله: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ،**

= **إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وهُوَ كَارِهٌ فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقَامِ، ويُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَعْثُ الشَّامِ فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالبَيْدَاءِ**».

فقلت لأبي: مَن صاحِبُهُ هذا؟ قال: عبد الله بن الحارث).

العلل لابن أبي حاتم (٦/ ٥٤٣-٥٤٤)، طبعة مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

وقال ابن أبي حاتم في العلل أيضًا: (وسألتُ أَبِي عن حديثٍ رواهُ سهلُ بن تمَّام، عن عِمران، عن قَتَادَةَ، عن عبد الله بنِ الحارثِ، عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ فِي المهدي؟

قال أبي: أَسقط من الإسناد رجلاً؛ رواه عفّان، عن عمران، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، وهو الصحيح).

العلل لابن أبي حاتم (٦/ ٥٣٦-٥٣٧)، طبعة مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان.

(١) وذلك في حديث عبد الله بن الحارث عن أم سلمة رضي الله عنها الذي سبق ذكره.

(٢) بدليل الحديث السابق؛ حديث أم سلمة رضي الله عنها.

كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ». ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: **«فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ؛ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ»**)[١].

وهذا الحديث مهم في بيان مرحلة المهدي، غير أن العلماء اختلفوا في صحته، فقال البزّار رحمه الله: (اخترنا هذا الحديث لصحته وجلالة ثوبان، وإسنادُهُ إسنادٌ صحيحٌ)[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: (تفرَّدَ به ابنُ مَاجَهْ، وإسنادُهُ قويٌّ صحيحٌ، والظاهر أن المراد بهذا الكنز المذكور كنزُ الكعبة، يقتتلون عنده؛ ليأخذه ثلاثةٌ من أولاد الخلفاء، حتى إذا كان في آخر الزمان خرج المهدي من بلاد المشرق، وقيل: من مكة)[٣].

---

(١) ابن ماجه (٤٠٨٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، قال رحمه الله: (أخبرنا أَبُو عَبْدِ اللهِ الصَّفَّارُ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أُورْمَةَ، ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَفْصٍ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةَ، ثمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيُقَاتِلُونَكُمْ قِتَالًا لَمْ يُقَاتِلْهُ قَوْمٌ»**. ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا، فَقَالَ: **«إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ؛ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ»**. هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين).

وقال الذهبي في التلخيص: (على شرط البخاري ومسلم).

المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للذهبي (٤/ ٤٦٤)، طبعة دار المعرفة.

(٢) البحر الزّخّار = مسند البزار (١٠/ ١٠٠)، مكتبة العلوم والحِكم - المدينة المنوّرة.

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٦٢)، طبعة دار هجر.

لكن قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله تعالى: (حدثني أبي، قال: قيل لإسماعيل -يعني ابن عُلَيَّةَ- في هذا الحديث، فقال: كان خالد يرويه، فلم يلتفت إليه، ضعّف إسماعيلُ أمرَهُ، يعني: حديثَ خالد، عن أبي قِلَابَة، عن أبي أسماء، عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في الرايات).[١]

وأَعَلَّ الشيخُ سليمان العلوان الحديثَ، ولكنه صحّحه موقوفًا عند الحاكم على ثوبان رضي الله عنه، وقال: (له حكم الرفع)[٢].

قلت: وحديث الحاكم الموقوف هو ذا: قال الحاكم رحمه الله: (أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ يُوسُفَ الْعَدْلُ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ ابْنُ عَطَاءٍ، أَنْا خَالِدٌ الْحَذَّاءُ، عَنْ أَبِي قِلابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْوًا؛ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ»[٣].

وذكر الشيخ عبد العزيز الطريفي الخلافَ في رفعِهِ ووقفِهِ، ثم قال: (وإسناده لا بأس به)[٤].

❊ ❊ ❊

(١) «المنتخب من علل الخَلَّال» لابن قُدَامَة المقدسي (١/ ٢٧٣)، طبعة دار الراية، و«العلل ومعرفة الرجال لأحمد، رواية ابنه عبد الله» (٢/ ٣٢٥)، طبعة دار الخاني.

(٢) في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب.

(٣) المستدرك على الصحيحين (٩/ ٤٦١-٤٦٢)، طبعة دار المنهاج القويم.

(٤) في مقطع مرفوع على موقع يوتيوب.

المبحث الثاني:

معالِم مرحلة الملاحم

إنّ التأمل في مجموع النصوص الواردة في أحاديث الملاحم يُبيِّن أنها مرحلة مختلفة عن مرحلة خروج المهدي من حيث السّماتُ؛ فهي مرحلة قوة وجيوش إسلامية، بخلاف مرحلة ظهور المهدي التي هي مرحلة خوف وهروب واضطرابات، وهل يكون السبب في هذا التحول هو حركة المهدي نفسه؟

لعله كذلك والله أعلم، فيكون المهديُّ سببَ هذا التحوّل بإذن الله، وسببَ انتظام أمور الأمة المحمدية بعد تبعثرها واضطرابها.

ومن أهم سمات مرحلة الملاحم ما يلي:

السمة الأولى: **الملاحم ليست بدايةَ القتال مع النصارى، وإنما هي استئناف له بعد الهدنة والصلح، والأدلة على ذلك:**

* **الدليل الأول:** حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في صحيح البخاري رحمه الله: (قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ**

غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[١].

ووجه الدلالة من هذا الحديث في قول النبي ﷺ: «**هُدْنَةٌ**»؛ فالهدنة لا تكون إلا بعد قتال.

* **الدليل الثاني**: قال أبو داود رحمه الله: (حَدَّثَنَا النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: مَالَ مَكْحُولٌ وابْنُ أَبِي زَكَرِيَّا إِلَى خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ وَمِلْتُ مَعَهُمْ، فَحَدَّثَنَا عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ عَنِ الْهُدْنَةِ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ رضي الله عنه -رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ-، فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ. فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ**».

حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ الْفَضْلِ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «**وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ**»)[٢]. وإسناده

---

(١) البخاري (٣١٧٦). «**مُوْتَانٌ**»: الموتُ الكثيرُ الوقوعِ، ويقال للطاعون. «**قُعَاصٍ**»: داءٌ يأخذُ الغنمَ فلا تبقى كثيراً حتى تموت. «**بَنِي الْأَصْفَرِ**»: هم الرُّومُ. «**غَايَةٍ**»: أيْ: راية.

(٢) أبو داود (٤٢٩٢) و (٤٢٩٣)، وفي رواية عند ابن حبان (٦٧٠٩): «**فَيَأْتُونَ مَلِكَهُمْ** =

صحيح.

* **الدليل الثالث:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ...**»[(١)].

وقوله ﷺ: «**الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا**» يدلّ على وجود قتال سابق ترتب عليه وجود السبي، وفيه دلالة على أن المعايير زمن الملاحم وما قبلها ستتغير عمّا هي عليه اليوم؛ لوجود السبي.

السمة الثانية: الملاحم لن تكون إلا بعد أن يوجد للمسلمين جيش وقوة عظيمة، وليس عصائب قتالية متفرقة، والأدلة على ذلك:

* **الدليل الأول:** حديث عوف بن مالك رضي الله عنه السابقُ ذكرُهُ، وفيه: «**فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا**».

ووجه الدلالة: أنهم يأتون بهذه الأعداد الضخمة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ؛ مما يدلّ على قوة الطرف المقابل[(٢)].

= **فَيَقُولُونَ: كَفَيْنَاكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ**». وفي لفظ: «**كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ**».

التقاسيم والأنواع = صحيح ابن حبان (٦/ ١٠٢-١٠٣) طبعة دار ابن حزم - بيروت.

(١) مسلم (٢٨٩٧).

(٢) **فائدة:** ذكر الثمانين راية قد يدل على تحولات وانقسامات تقع في الدول الغربية، =

* **الدليل الثاني**: حديث ذي مخبر الحبشي رضي الله عنه السابقُ ذكرُهُ، وفيه: «**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ**»، وفيه أيضـًا: «**تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ**».

ووجه الدلالة هو في وجود القوة الاعتبارية للمسلمين بحيث يصالحون الروم ويقاتلون جميعـًا عدوّاً مشتركـًا، ثم في احتياج الروم للجمع استعداداً للملحمة؛ مما يدل على أنهم لا يستطيعون مقاتلة جيش المسلمين مباشرة؛ مما يدل على كثرته وقوته.

* **الدليل الثالث**: حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن الملحمة في صحيح مسلم لمّا أشار بيده إلى الشام وقال: «عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ»[1].

وهذا يدل على أن أهل الإسلام يكونون على حال يمكنهم فيه جمع قوّتهم وجنودهم؛ ومِن ثَمَّ التوجه للقتال، وهذا يخالف الوضع العالمي الحالي.

* **الدليل الرابع**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم عن النبي ﷺ، وفيه: («**فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ فَيَفْتَتِحُونَ**

= وذلك لأنه لا يوجد اليوم هذا العدد من الرايات إلا إن كانت تدل على تحالفات دولية تحمل كل هذا العدد من الرايات التي تتبع لقيادة الروم.

(١) مسلم (٢٨٩٩).

قُسْطَنْطِينِيَّةَ»)[١]، مما يفهم منه الكثرة، خاصة وأن الثلث الباقي هو من يفتح القسطنطينية، وهذا يكون جيشًا وحده.

السمة الثالثة: المدينة النبوية ستكون قاعدة من قواعد المسلمين الكبرى، وسينطلق منها الجيش الأساسي لقتال الصليبيين، ولكن ذلك بعد مرحلةِ خرابٍ تمرّ بها، والدليل على ذلك:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم، عن النبي ﷺ، وفيه: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»[٢].

على أنّ مِن العلماء من يرى أن المقصود بـ «**الْمَدِينَةِ**» هنا: مدينة دمشق، والأصل حملها على المدينة النبوية.

السمة الرابعة: ستكون الحدود بين البلدان مفتوحة، أو ستكون حركة المقاتلين بين البلدان سهلة، والأدلة على ذلك:

* **الدليل الأول**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابقُ ذكرُهُ، وفيه أن الجيش الذي يقاتل الصليبيين في الشام يخرج من المدينة.

* **الدليل الثاني**: حديث ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح مسلم، عن النبي ﷺ، وفيه: **فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ،**

---

(١) مسلم (٢٨٩٧) باختصار.

(٢) مسلم (٢٨٩٧).

فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا-[1].

السمة الخامسة: الشام ستكون معقلاً من معاقل المسلمين في الملاحم، والدليل على ذلك:

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: (دِمَشْقُ)، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**»[2]. وهو حديث صحيح.

السمة السادسة: أنها مرحلة سيعاد فيها استعمال الأدوات القديمة في الحرب، والأدلة على ذلك:

* **الدليل الأول:** قال الإمام مسلم رحمه الله: (حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ،**

---

(١) مسلم (٢٨٩٩). «نَهَدَ»: نهضَ وتقدَّمَ. «الدَّبْرَةَ»: الهزيمة.

(٢) أبو داود (٤٢٩٨) واللفظ له، وأحمد (٢١٧٢٥).

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قد علقوا سيوفهم بالزيتون إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: (إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ). فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»)[١].

* **الدليل الثاني**: أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من طريق (يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، عن ابن مسعود رضي الله عنه في ذكر الملحمة، وفيه: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ[٢]، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: (إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ). فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً[٣]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، -أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ-**»)[٤].

تنبيه:

ليس المقصود من قولنا: (إن من معالم الملاحم عودة الأسلحة

---

(١) مسلم (٢٨٩٧).

(٢) ببأس: بحرب، وهي تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ؛ لأنها مؤنَّثٌ مَجَازِيٌّ.

(٣) مَن يُبعثُ لِيطَّلِعَ على حالِ العدُوِّ.

(٤) مسلم (٢٨٩٩).

التقليدية) نفيَ ما سواها، ولكن المقصود هو أن الأسلحة التقليدية سيكون لها حضور في الملاحم، وقد يدل هذا على تغيرات كبرى في العالم تحصل قبل الملاحم توثِّر في طبيعة الأدوات المستعمَلة في الحروب.

سمات مرحلة المهدي	سمات مرحلة الملاحم
أنها مرحلة ينتشر فيها الظلم والجَوْرُ والعدوان ويعمُّ الأرضَ	الملاحم ليست بدايةَ القتال مع النصارى، وإنما هي استئناف له بعد الهدنة والصلح
أنها مرحلة اختلاف بين الناس واضطرابات	الملاحم لن تكون إلا بعد أن يوجد للمسلمين جيش وقوة عظيمة، وليس عصائب قتالية متفرقة
لا توجد قوة كبيرة للمسلمين حينذاك	المدينة النبوية ستكون قاعدة من قواعد المسلمين الكبرى، وسينطلق منها الجيش الأساسي لقتال الصليبيين، ولكن ذلك بعد مرحلةِ خرابٍ تمرّ بها
أن الجزيرة العربية ستكون خاليةً حينها من القوى المركزية الكبرى	ستكون الحدود بين البلدان مفتوحة، أو ستكون حركة المقاتلين بين البلدان سهلة
	الشام ستكون معقلاً من معاقل المسلمين في الملاحم
	أنها مرحلة سيعاد فيها استعمال الأدوات القديمة في الحرب

الفصل الثاني:
الأحاديث النبوية في بيان الملاحم وأحداث آخر الزمان المتعلقة ببيت المقدس وبلاد الشام

* **الحديث الأول:** قال الإمام مسلم رحمه الله: (حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ -يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ-، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: (يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ)، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**».

وأخرجه البخاري بنحوه[1].

هذا الحديث ليس فيه النصّ على بلاد الشام، ولكن ورد في كتب السنة روايات كثيرة تبين أن هذا القتال هو الذي سيكون في زمن عيسى عليه السلام ضد الدجال ومن معه من اليهود[2]، وقد ثبت أن قتل عيسى عليه

---

(١) مسلم (٢٢٩٢)، والبخاري (٢٩٢٦).

(٢) **وقد وردت روايات كثيرة تدل على ذلك، منها -دون تحقيقٍ لأسانيدها-:**

١. **مسند أحمد بن حنبل (٥٣٥٣):** (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّ قَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا؛ مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ**، =

السلام للدجال سيكون ببلاد الشام، كما في صحيح مسلم رحمه الله.

= **ثُمَّ يُسَلِّطُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوْ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»**).

٢. **المستدرك على الصحيحين (٨٨٦٧)**: (أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ، ثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، ثَنَا مُسَدَّدٌ، ثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: كُنْتُ بِالْكُوفَةِ فَقِيلَ: خَرَجَ الدَّجَّالُ. قَالَ: فَأَتَيْنَا عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ أُسَيْدٍ رضي الله عنه وَهُوَ يُحَدِّثُ، فَقُلْتُ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ. فَقَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسْتُ، فَأَتَى عَلَيَّ الْعَرِّيفُ فَقَالَ: هَذَا الدَّجَّالُ قَدْ خَرَجَ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ يُطَاعِنُونَهُ. قَالَ: اجْلِسْ. فَجَلَسْ، فَنُودِيَ: إِنَّهَا كَذِبَةُ صَبَّاغٍ. قَالَ: فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَرِيحَةَ مَا أَجْلَسْتَنَا إِلا لأَمْرٍ؛ فَحَدِّثْنَا. قَالَ: «إِنَّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرَجَ فِي زَمَانِكُمْ لَرَمَتْهُ الصِّبْيَانُ بِالْخَذْفِ، وَلَكِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ فِي بُغْضٍ مِنَ النَّاسِ وَخِفَّةٍ مِنَ الدِّينِ وَسُوءِ ذَاتِ بَيْنٍ، فَيَرِدُ كُلَّ مَنْهَلٍ، فَتُطْوَى لَهُ الأَرْضُ طَيَّ فَرْوَةِ الْكَبْشِ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَيَغْلِبُ عَلَى خَارِجِهَا وَيَمْنَعُ دَاخِلَهَا، ثُمَّ جَبَلَ إِيلِيَاءَ، فَيُحَاصِرُ عِصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذَا الطَّاغِيَةِ أَنْ تُقَاتِلُوهُ حَتَّى تَلْحَقُوا بِاللهِ أَوْ يُفْتَحَ لَكُمْ؟. فَيَأْتَمِرُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ إِذَا أَصْبَحُوا، فَيُصْبِحُونَ وَمَعَهُمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ وَيَهْزِمُ أَصْحَابَهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ وَالْمَدَرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ هَذَا يَهُودِيٌّ عِنْدِي فَاقْتُلْهُ. قَالَ: وَفِيهِ ثَلاثُ عَلامَاتٍ: هُوَ أَعْوَرُ وَرَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أُمِّيٌّ وَكَاتِبٌ، وَلا يُسَخَّرُ لَهُ مِنَ الْمَطَايَا إِلا الْحِمَارُ؛ فَهُوَ رِجْسٌ عَلَى رِجْسٍ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا لِغَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. قَالَ: فَقُلْنَا: مَا هُوَ يَا أَبَا سَرِيحَةَ؟ قَالَ: فِتَنٌ كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. قَالَ: فَقُلْنَا: أَيُّ النَّاسِ فِيهَا شَرٌّ؟ قَالَ: كُلُّ خَطِيبٍ مُصْقِعٍ وَكُلُّ رَاكِبٍ مُوضِعٍ. قَالَ: فَقُلْنَا: أَيُّ النَّاسِ فِيهَا خَيْرٌ؟ قَالَ: كُلُّ غَنِيٍّ خَفِيٍّ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِالْغَنِيِّ وَلا بِالْخَفِيِّ. قَالَ: فَكُنْ كَابْنِ اللَّبُونِ لا ظَهْرَ فَيُرْكَبَ وَلا ضَرْعَ فَيُحْلَبَ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ).

٣. **مسند أحمد بن حنبل (١٥١٨٥)**: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَهُ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً يَسِيحُهَا فِي الأَرْضِ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَالسَّنَةِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالشَّهْرِ، وَالْيَوْمُ مِنْهَا كَالْجُمُعَةِ، ثُمَّ سَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ هَذِهِ، وَلَهُ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ،** =

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ»[1].

وهل معنى ذلك أن اليهود سيظلون على احتلال فلسطين إلى زمن خروج الدجال؟

= عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: أَنَا رَبُّكُمْ. وَهُوَ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ -ك ف ر مُهَجَّاةٌ- يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٌ وَغَيْرُ كَاتِبٍ، يَرِدُ كُلَّ مَاءٍ وَمَنْهَلٍ، إِلَّا الْمَدِينَةَ وَمَكَّةَ حَرَّمَهُمَا اللهُ عَلَيْهِ، وَقَامَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَبْوَابِهَا، وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ، وَمَعَهُ نَهْرَانِ أَنَا أَعْلَمُ بِهِمَا مِنْهُ؛ نَهَرٌ يَقُولُ: الْجَنَّةُ، وَنَهَرٌ يَقُولُ: النَّارُ. فَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ النَّارُ، وَمَنْ أُدْخِلَ الَّذِي يُسَمِّيهِ النَّارَ فَهُوَ الْجَنَّةُ». قَالَ: «وَيَبْعَثُ اللهُ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُكَلِّمُ النَّاسَ، وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، وَيَقْتُلُ نَفْسًا ثُمَّ يُحْيِيهَا فِيمَا يَرَى النَّاسُ، لَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا الرَّبُّ؟». قَالَ: «فَيَفِرُّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى جَبَلِ الدُّخَانِ بِالشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ فَيُحَاصِرُهُمْ، فَيَشْتَدُّ حِصَارُهُمْ وَيُجْهِدُهُمْ جَهْدًا شَدِيدًا، ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنَ السَّحَرِ فَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ. فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَتُقَامُ الصَّلَاةُ فَيُقَالُ لَهُ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللهِ. فَيَقُولُ: لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ. فَإِذَا صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ». قَالَ: «فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي: يَا رُوحَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ. فَلَا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ».

وغير ذلك من الروايات.

(١) مسلم (٢٩٣٧).

لا يبدو ذلك، فقد يُخرَجون منها ثم يعودون إليها مع الدجال، وقد جاء في الحديث الصحيح ما قد يُفهَم منه ذلك، فقد قال الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: (حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَمِّهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**»[(١)].

وإذا قارنّا ما جاء في هذا الحديث مع وضع الكيان الصهيوني حالياً نُدرك مقدار تغير الأوضاع الذي يمكن أن يحصل لهذا الكيان المحتل؛ بحيث يكون جزء أساسي من جيوش اليهود في أصبهان إيران التي ليست في حالة صلح اليوم مع هذا الكيان، فسبحان مغير الأحوال ومقدر الأقدار!

* **الحديث الثاني:** قال الإمام أحمد رحمه الله: (حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَوْبَانَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**». ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذِهِ أَوْ عَلَى مَنْكِبِهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ**». وَكَانَ مَكْحُولٌ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ[(٢)].

(١) مسلم (٢٩٤٤).

(٢) أحمد (٢٢٠٢٣).

هذا الحديث اختُلف في إسناده[١].

(١) فقد ذكره البخاري رحمه الله في «التاريخ الكبير» موقوفًا من طريق ابن محيريز، فقال: (قال ابن منذر: حدثنا الوليد، حدثنا ابن جابر، عن مكحول، عن عبد الله بن محيريز، عن معاذ رضي الله عنه) من قوله موقوفًا عليه.

التاريخ الكبير (٥/ ١٩٣)، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، بتحقيق المعلمي اليماني.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنَّف»: (حدثنا أبو أسامة، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن مكحول أن معاذ بن جبل رضي الله عنه) موقوفًا عليه كذلك. المصنف لابن أبي شيبة (٢١/ ٢٢٦)، طبعة دار كنوز إشبيليا.

وجاء في علل الدارقطني رحمه الله: (وَسُئِلَ عَنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، عَنْ مُعَاذٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ لِيَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ**». فَقَالَ: يَرْوِيهِ ابْنُ ثَوْبَانَ، وَاخْتُلِفَ عَنْهُ؛ فَرَوَاهُ أَبُو حَيْوَةَ شُرَيْحُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ، عَنْ مُعَاذٍ.

وَخَالَفَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، فَرَوَاهُ عَنِ ابْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، عَنْ مُعَاذٍ، زَادَ فِي الْإِسْنَادِ جُبَيْرًا، وَاللهُ أَعْلَمُ).

العلل الواردة في الأحاديث النبوية = علل الدارقطني (٦/ ٥٣)، طبعة دار طيبة - الرياض.

قلتُ: والأرجح زيادة جبير بن نفير والله أعلم؛ فقد رواه أحمد عن أبي النضر، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان بزيادة جبير «المسند» (٢٢١٢١).

ولعل اكتفاء الدارقطني بذكر الخلاف في هذا الوجه على ابن ثوبان يعني أن أصل هذا الطريق عنده محفوظ وليس خطأً، وذلك باعتبار أنه روي من وجه آخر من طريق ابن محيريز كما سبق في الحاشية.

فإذا ثبت أن أصل هذا الطريق محفوظ كان الحديث حسنًا لا بأس به، وفيه بعضُ لِينٍ؛ بسبب عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان.

وقال ابن كثير رحمه الله عنه[١]: (وهذا إسنادٌ جيّدٌ وحديثٌ حَسَنٌ، وعليه نورُ الصدقِ وجلالةُ النبوةِ)[٢].

وهذا الحديث من الأحاديث المهمة، والبحث فيه ينتظم في عدة أسئلة:

أولاً: هل الجُمَلُ المذكورةُ في الحديث علامات لبعضها أم أسباب؟ فإن كانت علاماتٍ فليس بالضرورة أن يتسبب بعضها بحدوث بعض، فيكون عمران بيت المقدس منفكَّ التأثير على خراب يثرب، أمّا لو كانت أسبابـًا فمعنى ذلك أن كلّاً منها يؤثّر في الذي بعده تأثيراً سببيـًا.

- قال ابن رسلان رحمه الله: (تقديرُهُ: عمارةُ بيتِ المقدسِ أَمَارَةُ خَرَابٍ)[٣].

فجعلَها علامةً لا سببـًا.

- وذكر السِّنْدِيُّ رحمه الله أنها: (أمارة لخراب يثرب)[٤].

- قال الملا علي القاري رحمه الله: («خَرَابُ يَثْرِبَ» أي: وقت خراب المدينة)[٥].

---

(١) بعد أن أورد إسناد الإمام أحمد عن أبي النضر به.

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩)، طبعة دار هجر.

(٣) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٧/ ٩٤)، طبعة دار الفلاح.

(٤) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٣٣)، طبعة مكتبة لينة وأضواء المنار.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤١٧)، طبعة دار الفكر - بيروت.

فجعلها علامة لا سببًا، ونقل عن الأشرف كذلك قوله: (قال الأشرف: لمّا كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرةِ عمارتهم فيه أمارة مستعقبة بخراب يثرب، وهو أمارة مستعقبة بخروج الملحمة، وهو أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية، وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال؛ جعل النبي ﷺ كلَّ واحدٍ عَيْنَ ما بعده وعبّر به عنه. اهـ.

وخلاصته: أن كل واحد من هذه الأمور أمارةٌ لوقوع ما بعده، وإن وقع هناك مُهْلَةٌ)[١].

- وقال الشيخ عبد المحسن العباد: (يعني: حصول العمران لبيت المقدس يكون علامةً على خراب المدينة في آخر الزمان)[٢].

ثانيًا: ما المقصود بالعمران المتعلق ببيت المقدس؟ هل هو العمران الحسي أم المعنوي؟ فإن كان حسيًا فلا فرق بين أن يكون على أيدي المسلمين أو الكفار، وإن كان معنويًا فلا يكون إلا على أيدي المؤمنين؛ إما بالخلافة -وهذا يؤيده حديث نزول الخلافة الأرض المقدّسة-، وإما بكثرة الهجرة إليه وإقامة المؤمنين فيه.

- قال السِّنْدِيُّ رحمه الله: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**» بضم العين، أي: عمارة بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم)[٣].

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤١٨)، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، أصله دروس صوتية، المكتبة الشاملة (١١/ ٤٨٣).

(٣) فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٣٣)، طبعة مكتبة لينة وأضواء المنار.

- قال الملا علي القاري رحمه الله: (عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال، «**خَرَابُ يَثْرِبَ**» أيْ: وقت خراب المدينة، قيل: لأن عمرانه باستيلاء الكفار).

ثم ذكر عن بعض الشارحين أن عمران بيت المقدس يكون على أيدي الكفار بعد خرابه، ثم قال: (والأصح أن المراد بالعمران الكمالُ في العِمارة، أي: عمران بيت المقدس كاملاً مجاوِزاً عن الحد وقت خراب يثرب؛ فإن بيت المقدس لا يخرب)[1].

ثالثًا: هل الخراب المتعلق بيثرب خراب حسّي بالدمار والحروب والقتل ونحو ذلك، ويدخل فيه ترك أهلها لها بسبب زلازل أو براكين أو نحوها؟ أم أنه خراب معنوي؛ إما بانتشار الفساد والفجور فيها، أو بقلة المؤمنين فيها وتركهم إياها للهجرة إلى بلاد الشام أو غيرها؟

رابعًا: لماذا سمّى النبي ﷺ المدينة بيثرب في هذا الحديث مع كونه نهى ﷺ عن تسميتها بذلك؟ وهل في ذلك إشارة إلى كونها تمرّ بمرحلة جاهلية فاستحقت بذلك الاسم القديم الذي كان للمدينة أيام الجاهلية؛ وهذا يؤيد تفسير الخراب بالمعنوي؟

- قال ابن رسلان رحمه الله: (وأما تسميته ﷺ المدينةَ هنا يثربَ؛ لِمَا فيه من مناسبة ذكر التثريب وهو الحزن واللوم على خرابها، ألا ترى أنها لمّا كانت عامرةً في زمانه ﷺ سماها طَابَةَ؛ لطيب المقام فيها في ذلك

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤١٧)، طبعة دار الفكر - بيروت.

الوقت؟ بخلاف أيام خرابها؛ لمّا شقت الإقامة في الخرب المستهدم سماها يثرب)[١].

خامسًا: هل الخراب المذكور ليثرب هو الخراب المذكور لها في الأحاديث الصحيحة المشهورة أن أهل المدينة «**يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ**»[٢]؟ أم أنه خراب مختلف؟

قال ابن كثير رحمه الله: (وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل

---

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٧/ ٩٤-٩٥)، طبعة دار الفلاح.

وبمناسبة ذكر ابن رسلان فقد ذكر في شرحه لهذا الحديث رأيًا غريبًا في الموافقة بين هذا الحديث وبين حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في البخاري، فقال: (يوافق ترتيب هذا الحديث روايةَ البخاري: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ**».

ووفق الموافقة أن فتح بيت المقدس سبب عمرانها، وخراب يثرب وخروج الملحمة سبب موتان القتلى الذي تأخذكم كقعاص الغنم، فإن القعاص هو الموت المعجّل، وفتح القسطنطينية هو سبب استفاضة المال حتى يعطى الرجل المال العظيم فيسخط به، ثم الفتنة التي لا تبقي بيتًا إلا دخلته وهي فتنة المسيح الدجال التي أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ منها). شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٧/ -٩٥)، طبعة دار الفلاح.

ووجه الغرابة أنّ المعروف عند العلماء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن فتح بيت المقدس قد تم على يدي عمر بن الخطاب، وأنّ المُوْتَانَ هو الذي حصل في طاعون عمواس سنة ١٨هـ وليس الموت الذي سيكون في الملحمة.

(٢) البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩).

خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان كما سيأتي بيانه في الأحاديث الصحيحة، بل تكون عمارة بيت المقدس سببًا في خراب المدينة النبوية؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يقدر على دخولها؛ يُمنع من ذلك بما على أبوابها من الملائكة القائمين بأيدهم السيوفُ المُصْلَتَةُ)[١].

سادسًا: لفظ الحديث يدل على التتابع السريع بين الأحداث؛ لأنه جعل كل حدث عَيْنَ ما بعده؛ فهل هذا ينفي التراخي الزمني بين كل حدث وما بعده مطلقًا أم أنه لا يتعارض مع التراخي؟

- قال الملا علي القاري رحمه الله: (قلت: إنه ﷺ جعل الفتح علامة لخروج الدجال، لا أنها مستعقبة له من غير تراخٍ)[٢].

- وقال الكشميري رحمه الله: (ولا يتوهم اتصال جميع هذه الأشياء، بل يمكن الفصل الطويل بين علامتين)[٣].

- قلت: ورد عن النبي ﷺ حديث يدل على وجود التراخي بين فتح القسطنطينية وبين خروج الدجال؛ ممّا قد يدلّ على حالة التراخي في غيرها مما ورد في نفس الحديث كذلك، والحديث المقصود أخرجه أبو داود رحمه الله بإسناد صالح، فقال: (حَدَّثَنَا حَيْوَة بْن شُرَيْحٍ الْحِمْصِي،

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٩٤)، طبعة دار الجيل - بيروت.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٤١٨)، طبعة دار الفكر - بيروت.

(٣) العَرْفُ الشَّذِيّ شرح سنن الترمذيّ (٣/ ٤٢٤)، طبعة دار التراث العربي - بيروت.

حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ بَحِيرٍ، عَنْ خالِدٍ، عَنِ ابنِ أَبِي بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**بَيْنَ الْمَلْحَمَةِ وَفَتْحِ الْمَدِينَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيَخْرُجُ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فِي السَّابِعَةِ**».

قالَ أَبُو داوُدَ: هَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ عِيسَى)[١].

ويقصد بحديث عيسى الحديثَ الذي قبله، وهو حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**الْمَلْحَمَةُ الكُبْرَى وَفَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ**»[٢].

والمقصود أنه ورد التراخي لمدة سبع سنين بين فتح القسطنطينية وخروج الدجال، وهذا فيه إثبات أصل التراخي، فالله أعلم بالمدة التي بين بقية الجُمَلِ الواردة في الحديث.

سابعًا: مما يُشْكِلُ في الحديث ويتطلب تأمّلاً واسعًا هو أنّه ثبت في صحيح مسلم رحمه الله أنه سينطلق جيش من المدينة لقتال الكفار في الملاحم الشامية[٣]، وهذا يتعارض مع خراب يثرب الذي جُعل علامةً على خروج الملحمة، إلا إذا كان هناك تراخٍ في الزمن بين خراب يثرب وبين خروج الملحمة يَسَعُ لعودة عمران المدينة وانتعاشها بعباد الله المؤمنين مرة أخرى، وهذا محتمل؛ لأنه ثبت أن اللفظ لا ينفي التراخي،

---

(١) أبو داود (٤٢٩٦).

(٢) أبو داود (٤٢٩٥).

(٣) انظر صحيح مسلم (٢٨٩٧).

والله أعلم.

ثم وقفتُ على نقلٍ ثمينٍ من صاحب «البحر المحيط الثَّجَّاج»، وذلك في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الملاحم، عند شرحه لجملة: «**فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ**»[١]، قال: (قال ابن الملك: قيل: المراد بها حلب، والأعماقُ ودابقٌ موضعان بقربه، وقيل: المراد بها دمشق، وقال في «الأزهار»: وأمّا ما قيل من أن المراد بها مدينة النبيّ ﷺ فضعيفٌ؛ لأنّ المراد بالجيش الخارج إلى الروم: جيشُ المهديّ؛ بدليلِ آخِرِ الحديثِ؛ ولأنّ المدينة تكون خراباً في ذلك الوقت.

وقال صاحب «التكملة» بعدما نقل ما تقدّم: لعله يشير إلى ما رواه أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً: «**عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ**»، لكن ليس في ذلك الحديثِ أنه ليس بين خراب يثرب وخروج الملحمة فصلٌ، وقد تُذكر الأشياء في أشراط الساعة وبينها فصلٌ كبيرٌ. انتهى»)[٢].

* **الحديث الثالث:** قال أبو داود رحمه الله: (حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ،

---

(١) مسلم (٢٨٩٧).

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحَجَّاج، لمحمد ابن الشيخ العلّامة علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي رحمهما الله تعالى (٤٤/ ٣١٥)، طبعة دار ابن الجوزي - الرياض.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَرْطَاةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جُبَيْرَ بْنَ نُفَيْرٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ**»)[1].

قال ابن الجنيد رحمه الله: (سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِيْنٍ، وقد ذكرنا عنده أحاديث من مَلاَحِم الرُّوم، فَقَالَ: لَيْسَ من حديث الشَّاميّينَ شيءٌ أصح من حديث صَدَقَةَ بن خالد، عن النبيّ ﷺ: «**مَعْقِلُ الْمُسْلِمِينَ أَيَّامَ الْمَلَاحِمِ دِمَشْقُ**»)[2].

وفي هذا الحديث من البشرى أن دمشق سيخلصها الله من قبضة الباطنيّة المحاربين لله ورسوله، وستكون غوطتُها معقلاً للمؤمنين وفُسْطَاطًا، وفيه امتداح دمشق وفضلها، **وهذا أصح حديث في فضل دمشق.**

* **الحديث الرابع:** أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من طريق (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا

(١) أبو داود (٤٢٩٨) واللفظ له، وأحمد (٢١٧٢٥).

(٢) سؤالات ابن الجنيد صـ٤٠٨، طبعة مكتبة الدار – المدينةالمنورة.

فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «**كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ**

كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»[(١)].

قال النووي رحمه الله: (وهذا الحديث من فضائل دمشق)[(٢)].

وأي شرف وشأن لهذه المدينة إذْ ينزل فيها عيسى عليه السلام في آخر الزمان ليقتل الدجال ويحكم بالإسلام ويعلي كلمة الحق؟!

* **الحديث الخامس:** قال الإمام مسلم رحمه الله: (حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنْ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتْ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ

---

(١) مسلم (٢٩٣٧).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج (١٨/ ٦٧)، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[1].

وفي هذا الحديث النصُّ على بلاد الشام؛ حيث تقع دابقٌ والأعماقُ قريبًا من حلب، وقد سبق ذكر عدد من فوائد هذا الحديث في سمات مرحلة الملاحم.

* **الحديث السادس:** أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من طريق (أَيُّوبَ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْعَدَوِيِّ، عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: (يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ). قَالَ: فَقَعَدَ -وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ، فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا

(١) مسلم (٢٨٩٧).

غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً -إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ:لَمْ يُرَ مِثْلُهَا-، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: «إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ». فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»[(١)].

* **الحديث السابع:** قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ أَنَّ ابْنَ زُغْبٍ الْإِيَادِيّ حَدَّثَهُ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ لِي -وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي-: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شَيْئًا، وَعَرَفَ الْجَهْدَ فِي وُجُوهِنَا فَقَامَ فِينَا فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ**

(١) مسلم (٢٨٩٩).

فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ». ثُمَّ قَالَ: «**لَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ وَالرُّومُ وَفَارِسُ، -أَوِ: الرُّومُ وَفَارِسُ- حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا وَمِنْ الْغَنَمِ، حَتَّى يُعْطَى أَحَدُهُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا»**. ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي -أَوْ: هَامَتِي- فَقَالَ: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**»)[(١)].

وفي هذا الحديث بيان ارتباط الشام بأحداث آخر الزمان من جهة نزول الخلافة فيها؛ فإنّ الأرض المقدّسة في الشام.

وقد اختُلف في المراد بالحديث؛ هل المقصود به ملك بني أمية أم الخلافة الراشدة في آخر الزمان على يدي المهدي؟

فمن العلماء من حمله على زمن بني أمية كما قال الْخَطَّابِيُّ رحمه الله في «معالم السنن»: (وإنما أنذر به ﷺ أيام بني أمية وما حدث من الفتن في زمانهم وانتشر ذكره)[(٢)].

وقال ابن رسلان رحمه الله في شرح سنن أبي داود: (وفي هذا معجزة عظيمة لرسول الله ﷺ؛ فإن عبد الله بن حوالة عاش إلى أن رأى خلافة

---

(١) أحمد (٢٢٤٨٧).

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/ ١٧٢)، طبعة دار الفلاح، وقد نقل ابن رسلان عن الخطابي من معالم السنن، ولكن لا يوجد في المعالم: «وانتشر ذكره».

معاوية بن أبي سفيان في شوال سنة إحدى وأربعين ببيت المقدس، وعاش بعد ذلك إلى أن رأى خلافة عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بالشام، وكانت الزلازل قد قربت؛ فإن في سنة خمس وتسعين كانت الزلازل في الدنيا حتى عم الهدمُ الأبنيةَ الشاهقةَ، وقتل الحَجَّاجُ سعيدَ بن جبير، وتهدمت دور أنطاكية، «**وَ**» كثرت «**الْبَلَابِلُ**» جمع بلبال وبَلْبَالة بفتح الباءين وإسكان اللام بينهما؛ وهو الهم والحزن ووسواس الصدر «**وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ**» ... يعني الفتن العظيمة بين الحَجَّاج وعبدِ الله بن الأشعث، واتصلت الحرب بينهما مائة يوم، كان فيها إحدى وثمانون وقعة، حكاه ابن الجوزي)[١].

وفي «بذل المجهود» للسهارنفوري رحمه الله: (والمراد بها الشام، وقد وقع ذلك في زمان إمارة بني أمية)[٢].

وذكر البرزنجي رحمه الله في «الإشاعة» القولين فقال: (وهذا إن أُريد بالخلافة النازلة إلى الأرض المقدسة مُلْكُ بني أمية؛ فقد وقع من الأمور العظام ما سنذكر بعضها.

وإن أُريد خلافة المهدي فالمراد بها الآيات القريبة إلى الساعة؛ كالدابة وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك)[٣].

(١) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١١/ ١٧٣)، طبعة دار الفلاح.

(٢) بذل المجهود في حلّ سنن أبي داود (٩/ ١٠٣)، طبعة مركز الشيخ أبي الحسن النَّدْوِيّ للبحوث والدراسات الإسلامية - الهند.

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة صـ ١١١، طبعة دار المنهاج - السعودية.

ومن العلماء من ذهب إلى أن المراد بذلك آخرُ الزمان؛ كما أخرج الطبراني رحمه الله (عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ بِسُنَّتِي، يُنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ بَرَكَتِهَا، تُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَعْمَلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَنْزِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»**)[(١)]. وهو حديث ضعيف.

وقال حمود التويجري في كتابه «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» معلِّقًا على حديث عبد الله بن حوالة رضي الله عنه المذكور في الأعلى: (وفي هذا الحديث الصحيح إشارة إلى ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن المهدي ينزل بيت المقدس)[(٢)].

وقد ذكر الشيخ سعيد حَوَّى رحمه الله أن الاتجاه الأقوى عند العلماء حَمْلُ الحديثِ على خلافة المهديّ[(٣)].

قلتُ: والأقرب في الحديث -والله أعلم- أن المقصود بالخلافة هي

---

(١) وإسناده عند الطبراني رحمه الله: (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حدثنا أَبُو جَعْفَرٍ، قَالَ: حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الْوَاصِلِ، عَنْ أَبِي الصِّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ -أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ-). المعجم الأوسط (٢/ ١٥)، طبعة دار الحرمين - القاهرة.

وقال الهيثمي رحمه الله: (رواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٣١٧)، طبعة القدسي - القاهرة.

(٢) إتحاف الجماعة (٢/ ٢٨٠)، طبعة دار الصميعي - الرياض.

(٣) الأساس في السنة وفقهها.

الخلافة الراشدة في آخر الزمان[١]؛ وذلك لأمور:

الأول: أن النص الشرعي جاء بوصف ما بعد مرحلة الخلافة الراشدة بلفظ الملك، وكانت بدايته مع ملك الأمويين، وأما في هذا الحديث فجاء الوصف بالخلافة[٢].

والثاني: أنه إذا كان المراد بالأرض المقدسة خصوص فلسطين لا عموم الشام؛ فملك بني أمية لم يكن في فلسطين وإنما في دمشق[٣].

والثالث: أن الزمن الأقرب إلى تتمة الحديث -في ذكر الزلازل والبلابل والأمور العظام وقرب الساعة- هو آخر الزمان حين خروج المهدي رضي الله عنه؛ فهو زمن اقتراب الدجال والآيات العظام.

---

(١) يرى بعض العلماء المعاصرين أن الخلافة الراشدة ستعود قبل زمن المهدي، وأنه سيكون ضمن سلسلة الخلفاء أو آخرَهم.

وأرى أن هذا مُشْكِلٌ جدّاً؛ فإنَّ مِن أظهر علامات زمن المهدي أن الأرض تمتلئ ظلماً وجَوْراً وعدواناً، ثم يملؤها الله به قسطاً وعدلاً، وهذا التحوّل سيكون بخلافة المهدي، وأما إذا قلنا: (إنه مسبوق بالخلافة الراشدة المبشَّر بها في آخر الزمان، وأن سلسلة الخلفاء متصلة بالمهدي)؛ فكيف تكون الأرض ممتلئة ظلماً وجَوْراً وفيها الخلافة الراشدة؟! هذا مستبعَدٌ، والله أعلم.

(٢) وهذه دلالة ظنية محتملة؛ لأن هذا الوصف بالخلافة يقع على الملك كذلك من حيث الإجمال، والله أعلم بالمراد في الحديث.

(٣) وقد اختلف المفسرون في تحديد الأرض المقدسة الواردة في القرآن:

فخصّها بعضهم بفلسطين.

وحملها بعضهم على عموم الشام.

تتمة:

جاء ذكر الخلافة الراشدة في آخر الزمان في حديث حذيفة رضي الله عنه كذلك، وهو ما أخرجه الإمام الطيالسي رحمه الله، فقال: (حَدَّثَنَا دَاوُدُ الْوَاسِطِيُّ -وَكَانَ ثِقَةً-، قَالَ: سَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1]، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثُهُ[2]، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْأُمَرَاءِ؟ وَكَانَ حُذَيْفَةُ قَاعِدًا مَعَ بَشِيرٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ. فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ فِي النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**». ثُمَّ سَكَتَ، قَالَ: فَقَدِمَ عُمَرُ[3] وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ النُّعْمَانِ فِي صَحَابَتِهِ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أُذَكِّرُهُ الْحَدِيثَ، فَكَتَبْتُ إِلَيَّ: إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمُلْكِ الْعَاضِّ وَالْجَبْرِيَّةِ. قَالَ: فَأَخَذَ يَزِيدُ الْكِتَابَ

---

(١) هذا اللفظ (مَعَ رَسُولِ اللهِ) يبدو أنها وهم من الراوي، ولم تَرِدْ في بعض الطرق، وهو الأصح.

(٢) أي: ما كان جريءَ اللسان.

(٣) عُمَرُ هنا هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.

فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُمَرَ فَسُرَّ بِهِ وَأَعْجَبَهُ»)[١].

* **الحديث الثامن:** وخرّج الإمام أحمد والنسائي رحمهما الله تعالى من حديث سَلَمَةَ بنِ نُفَيْلٍ رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يُزِيغُ اللهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ اللهُ مِنْهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ**»[٢].

قال ابن رجب رحمه الله: (وأمّا من قال من العلماء: «إن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث»؛ كما قاله ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري، وغيرهم؛ فإنه غيرُ مُنَافٍ لِمَا ذكرناه؛ لأن الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان وملك الإسلام، وهي عقر دار المؤمنين؛ فلا بد أن يكون فيها من ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا، وأهل العلم بالسّنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة القائمين بالحق الذين لا يضرهم مَن خذلهم)[٣].

(١) مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٣٤٩-٣٥٠)، طبعة دار هَجَر - مصر.

وقال الحافظ العراقي رحمه الله: (هذا حديث صحيح).

وقال الشيخ عبد الله السعد في شرح «نواقض الإسلام»: (هذا يسأل عن صحة حديث: «تَكُونُ فِيكُمُ النُّبُوَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ» حديث النعمان بن بَشير، وهذا رواه أبو داود الطيالسي وغيرُهُ، وهذا الحديث لا بأس بإسناده، لعل إسناده لا بأس فيه).

وقال الشيخ ماهر الفحل في تحقيق «جامع العلوم والحِكَم»: (إسنادُهُ حسنٌ).

(٢) أحمد (١٦٩٦٥)، والنسائي (٣٥٦١).

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ٢١١)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

* **الحديث التاسع:** قال ابن رجب رحمه الله في «فضائل الشام»: (وروى الوليد بن مسلم، عن مروان بن جناح، عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَذَا الأَمْرُ كَائِنٌ بَعْدِي بِالمدِينَةِ، ثُمَ بِالشَّامِ، ثُمَّ بِالجَزِيرَةِ، ثُمَّ بِالعِرَاقِ، ثُمَّ بِالمدِينَةِ، ثُمَّ بِبَيْتِ المقْدِسِ، فَإِذَا كَانَ بِبَيْتِ المقْدِسِ فَثَمَّ عُقْرُ دَارِهَا، وَلَنْ يخرُجَهَا قَوْمٌ فَتَعُودَ إِلَيْهِمْ أَبَداً**»[(١)].

قال أبو القاسم الحافظ[(٢)]: يعني بقوله: «**بِالجَزِيرَةِ**» أَمْرَ مروانَ بنِ محمد الْحِمَار.

وبقوله: «**بِالمدِينَةِ**» بعد العراق يعني به المهديَّ الذي يخرج آخر الزمان، ثم ينتقل إلى بيت المقدس وبها يحاصره الدّجال، فالله أعلم)[(٣)].

وهذا الحديث على كونه مرسلاً -فإن يونس بن ميسرة تابعي وهو من خيار التابعين الشاميين- إلا أنه مهمٌّ في ترتيب الأحداث، خاصة مع تعليق ابن عساكر وبيانه، وهو لا يتعارض مع مجموع ما ورد في الأحاديث والآثار، وفيه زيادةُ تعيينٍ مفيدةٌ، والله تعالى أعلم.



(١) تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر رحمه الله (١/ ١٨٥)، طبعة دار الفكر.

(٢) يقصد ابنَ عساكر.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (٣/ ١٩٠-١٩١)، طبعة دار الفاروق الحديثة.

خاتمة

إن لبلاد الشام مع رفع كلمة الإسلام موعداً لن تخلفه..

وصلى الله وسلم على إمام النبيين وخاتم المرسلين..



المفكرة